وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

جهود درغوث باشا في تحرير سواحل طرابلس الغرب
964-972هـ/ 1556-1565م

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبتين:

-ربروب الحاجة

-ربروب نفيسة

إشراف الأستاذ:

د/ صالح بوسليم

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/محمة عائشة	جامعة غرداية	رئيسا
د/صالح بوسليم	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
د/جعفري أحمد	جامعة غرداية	مناقشا

تاريخ المناقشة20جوان 2019م

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ/2018-2019م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

جهود درغوث باشا في تحرير سواحل طرابلس الغرب
964-972هـ/ 1556-1565م

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبتين:

-ربروب الحاجة

-ربروب نفيسة

إشراف الأستاذ:

د/ صالح بوسليم

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/محمة عائشة	جامعة غرداية	رئيسا
د/صالح بوسليم	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
د/جعفري أحمد	جامعة غرداية	مناقشا

تاريخ المناقشة20جوان 2019م

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ١٠٥﴾

صدق الله العظيم

[التوبة: 105]

الإهـــــــــداء

إلى أبي الغالي مسعود ربروب أسكنه الله فسيح جناته وإلى من كان دعاؤها سر نجاحي ووقفت بجانبي طيلة دراستي وقدمت لي الدّعم المادي والمعنوي أمي الغالية عائشة ربروب التي أنارت دربي في الحياة وإلى إخوتي: أحمد ومبارك والسايح وإلى زوجاتهم عائشة وسمرة ومبروكة و أخواتي: الزهرة وفوزية ومسعودة وإلى أولادهم: صغير وإبراهيم وقاسم ، الضاوية، فضيلة، ميهوب، محمد، مسعود. وإلى براعم العائلة الكريمة: عبد الحق، أسرار، خير الدّين، إنتصار، علي، إسلام ،عبد الرزاق،العلمي.وإلى خالاتي وأخوالي وعمتي وإلى صديقاتي:فضيلة رحمها الله وأسكنها فسيح جناته نفيسة،عايدة، مغنية،حكيمة، الزهرة،فاطمة،عائشة،فضيلة،آمال،وإلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

الحاجـــــة

الإهـــــــــداء

أهـــدي هذا العمل إلى نبع الحنـــان والمحبّة والعـــطاء إلى الذين قال فيهم الله عزّ وجل "واخفض لهما جناح الذلّ والرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا"سورة الحجر، الآية 284.

أمّي الحبيبـــة فاطمة وأبي العـــزيز أحمد أطال الله في عمرهما وأجدادي حفظهما الله لي.وإلى قرّة عيني أخي الكبير محمد وأختي الحبيبة عمّارية وإلى كل أخواتي فيالة وطاوس والزّاوي والمشري وبلقاسم وكنزة ودنيا والصغيرة" زهرة"وتحيّة خاصة إلى خالتي فتيحة.وإلى زوجة أخي ريم وزوج أختي مسعود وأخصّ بالذكر زوجة عمّي حورية وإلى كل أخوالي وخالاتي وكذلك عماتي وأعمامي.تحيّة خاصة إلى البراعم الصغار"أمـــــينة وعبد الحميد وفايز".وإلى كل صديقاتي اللوآتي رافقنني في الدراسة: الحاجة،مغنية، عايدة، حكيمة، عائشة، الزهرة، فاطنة، فضيلة، مسعودة، آمال وإلى كل صديقة أعرفها من قريب أو بعيد.تحيّة كبيرة إلى كل عائلة آل ربروب.

نفـــــــيسة

شكـــر وعرفـــان

جاء في الأثر "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"لا يسعنا في الختام إلا أن نشكر الله عز وجل أن وفقنا ومنحنا من القوة والصبر وأعاننا على إنجاز هذا العمل العلمي .كما نتقدم بالشكر الجزيل وجميل الامتنان إلى من رافقنا بتوجيهاته طيلة إنجاز هذا العمل، ولم يبخل علينا بآرائه وأفكاره النيرة رغم انشغالاته ويبقى مثال العطاء والتواضع، ونخصّ بالذكر أستاذنا الفاضل المشرف بوسَليم صالح،جزاه الله عنا كل خير وله منّا كل التقدير والاحترام.كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة التاريخ الذين كانوا معنا طيلة فترة الدراسة الجامعية، كما لا ننسى أن نخصّ بالشكر أيضا الأستاذ جعفري أحمد الذي قدّم لنا يد المساعدة خلال إنجاز هذا العمل....إلى كل من الزميلات والزملاء الذين أعانونا بالمادة العلمية، نذكر منهم على سبيل الذّكر لا الحصر: حساني موسى وعبد الله زرباني وعالب نور الدين و ربحة بلهداجي، أم لخير دويرم وسكينة جبريط...الخ كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

كما لا يفوتنا أن نشكر أعضاء اللجنة المناقشة

إلى كل هؤلاء جميعا حميد ذِكرنا وجميل شُكرنا.

رموز المختصرات

القسم العربي:

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
مر	مراجعة
تح	تحقيق
تع	تعليق
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
ق	قرن
م	ميلادي
هـ	هجري
د ن	دون دار النشر
مج	مجلد
ج	جزء
تق	تقديم
د م	دون مكان طبع
ص	صفحة
ص ص	صفحات متلاحقة
م أ ت ف ث إ.	مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول.
م م ج ل د ت	. منشورات مركز الجهاد الليبين للدراسات التاريخية
م م د ج ل ض غ إ	منشورات مركز دراسة الجهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي.
م د و ع	مركز دراسات الوحدة العربية
د س	دون سنة

د ص	دون صفحة
ج ع ل	الجماهيرية العربية الليبية

القسم الأجنبي:

Page	P
Page contenue	PP
Tome	T

مـــقـــدمـــــــة

شكّلت منطقة المغرب العربي الكبير منطقة صراع بين دول غرب أوربا المتوسطية، نظرا لما لها من أهمية استراتيجية، فقد كانت هذه الدول تتنافس من أجل الحصول على مناطق نفوذ فيها. ومن بين هذه الدول إسبانيا التي استطاعت الاستحواذ على غرناطة ومن ثم توجهت أنظارها نحو دول المغرب العربي حيث حاولت احتلال الجزائر عدّة مرات، بالإضافة إلى المغرب الأقصى وطرابلس الغرب، التي كانت تربطها علاقات منذ عهد الحفصيين، حيث تميزت هذه العلاقات بالعداء المستمر، وكانت إسبانيا تطمح إلى ضم طرابلس الغرب كمنطقة نفوذ تابعة لها، بالإضافة إلى تعرض طرابلس الغرب إلى عدو صليبي مسيحي آخر، وهم فرسان القديس يوحنا. وعلى إثر هذه الأحداث التي كانت تشهدها طرابلس الغرب، قرّر السلطان العثماني إرسال أحد الولاة العثمانيين وهو درغوث باشا، الذي يعتبر من أشهر الشخصيات العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط. وجاء عنوان مذكرتنا موسوما بـ:

جهود درغوث باشا في تحرير طرابلس الغرب 964-972هـ / 1556-1565م

- الإطار المكاني والزماني للدراسة:

الإطار المكاني:

حدود الدراسة لهذا الموضوع جغرافيا منطقة طرابلس الغرب وأجزاء من منطقة الحوض العربي للبحر الأبيض المتوسط.

الإطار الزماني:

شملت هذه الدراسة طرابلس الغرب في فترة حكم درغوث ما بين 964-972هـ/ 1556 إلى غاية 1565م؛ أي خلال القرن السادس عشر ميلادي، وهو ما يُعرف في تاريخ ليبيا الحديث بالعهد العثماني الأول، والتي كانت بداياتها منذ سنة 1551م.

-أسباب إختيار الموضوع:

لقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع وفقا لدوافع عديدة، نذكر منها ما يلي:

ـ الموضوع كان مقترحا من قبل الأستاذ جعفري أحمد.

-الرغبة في دراسة تاريخ طرابلس الغرب خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي.

ـ إبراز دور خير الدين بربروس في طرابلس الغرب.

-التعرف على أحد أهم الشخصيات العثمانية خاصة في طرابلس الغرب خلال الفترة الحديثة.

-السعي لإبراز دور درغوث باشا في تحرير سواحل طرابلس الغرب وجربة وغيرها.

- **الإشكالية:**

تتركز إشكالية البحث في التساؤل الآتي:

ماهي أبرز جهود درغوث باشا في تحرير طرابلس الغرب من فرسان مالطا وإلحاقها بالدولة العثمانية؟

وتتفرع عنها تساؤلات الفرعية وهي:

- من هو درغوث باشا؟

- وماهي أهم إنجازاته في طرابلس الغرب؟

- ماهي مساهماته في تحرير جربة وجزيرة مالطا؟

- **الخطة المتّبعة في الدراسة:**

للإجابة على الإشكاليات السابقة اتبعنا الخطة التالية والتي تتكون من مقدمة ومدخل وثلاث فصول وفي كل فصل مباحث. وخاتمة توصلنا فيها إلى أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، ثم ذيلناها ببعض الملاحق المتعلقة بالموضوع.

المقدمة: قمنا أولا بوضع تمهيد حول الموضوع ثم التعريف به، وذكر أهم دوافع اختياره، وإشكالية رئيسية ثم فرعية، كما ذكرنا أيضا المنهج المتبع في هذه الدراسة والخطة المعتمدة، إضافة إلى ذلك التعريف بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها أثناء إنجاز هذه الدراسة.

المدخل: عنوان المدخل لمحة عن الأوضاع العامة في طرابلس الغرب قبل الاحتلال الإسباني ، حيث تناولت فيه نبذة عن طرابلس الغرب التي كانت عبارة عن زعامات وحكومات محلية، كما تطرقت أيضا للعلاقة التي كانت تربط طرابلس الغرب مع الدول الأجنبية، والتي كانت عبارة عن علاقات تجارية.

الفصل الأول: عنوانه طرابلس الغرب تحت سيطرة الاحتلال الإسباني وفرسان مالطا. وقسمنا هذا الفصل إلى مبحثين.

المبحث الأول: الاحتلال الإسباني وذكرنا أهم الأسباب التي كانت وراء احتلال الإسبان لطرابلس الغرب ومن ثم تناولنا الصراع الذي كان بين الإسبان والطرابلسيين، والذي انتهى بتسليم طرابلس الغرب إلى فرسان مالطا.

المبحث الثاني: فقد كان بعنوان فرسان مالطا في البداية حاولت التعريف بالفرسان وأهم إنجازاتهم طيلة مسيرتهم، كما تناولنا أيضا محاولاتهم المتكررة في الاستيلاء على المدينة.

الفصل الثاني: بعنوان ولاية درغوث باشا في طرابلس الغرب، وقد قسمناه إلى مبحثين.

المبحث الأول: دخول العثمانيين لطرابلس الغرب ودورهم في تحرير طرابلس من الأسطول المسيحي، ومن ثمّ أصبحت طرابلس ولاية عثمانية.

المبحث الثاني: شخصية درغوث باشا (حياته ونشأته) ثم وقوعه في الأسر، وبعد ذلك تنصيب درغوث باشا واليا على طرابلس الغرب من قبل السلطان العثماني.

الفصل الثالث: كان عنوانه جهود درغوث باشا في تحرير سواحل طرابلس الغرب، وقسّمناه إلى ثلاث مباحث.

المبحث الأول: تناولنا فيه أهم إنجازات درغوث باشا في طرابلس الغرب، فكانت إنجازاته في مجال البحرية وتحصينات المدينة وإصلاحاته في السواحل الطرابلسية.

المبحث الثاني: معركة جربة ودور درغوث في تخليصها من الإسبان سنة 1560م.

المبحث الثالث: جهوده في حصار مالطا سنة 1565م، ثم استشهاده في هذا الحصار.

أما الخاتمة: فقد حاولنا فيها أن نستخلص جميع النتائج، التي وجدت في هذه الدراسة حول شخصية درغوث باشا.ثم ذيّلناها بمجموعة من الملاحق التي هي عبارة عن تكملة للدراسة.

الأهمية:

تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على تاريخ ليبيا الحديث، خاصة فترة درغوث باشا والتزويد بمعلومات مهمّة حول شخصيته وإبراز مجهوداته في تاريخ طرابلس الغرب خلال القرن 16م.

كما كان له دور فعّال في القضاء على الإسبان وفرسان القدّيس يوحنا في طرابلس الغرب.

- **الهدف من هذه الدراسة:**

إن الهدف من هذه الدراسة، هو الكشف عن أحد الشخصيات البارزة في تاريخ طرابلس الغرب خلال القرن السادس عشر، لأنه يعتبر من بين الشخصيات التي كان لها دور فعّال في تحرير طرابلس الغرب من الاحتلال الصليبي المسيحي، بالإضافة إلى ذلك التعرف على شخصية درغوث من مختلف الجوانب.

– الدراسات السابقة:

من بين الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها خلال هذه الدراسة، نذكر منها ما يلي:

– حليمة النحاس وفايزة مزّاري: ليبيا خلال العهد القرمانلي، 1711–1832م، مذكرة ماستر، تخصص: حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2015–2016م. استفدت من هذه المذكرة في الفصل الأول، حيث تناولت العهد العثماني الأول في طرابلس الغرب.

– موسودة مسعودة والعويبي نسيمة: طرابلس الغرب في عهد الوالي يوسف باشا القرمانلي 1795–1832م، 1210–1247هـ، مذكرة ماستر، تاريخ العالم المعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016–2017م، قمت بتوظيف هذه المذكرة في الفصل الثاني.

ويجدر الإشارة إلى أنه لا توجد دراسات واسعة حول شخصية درغوث باشا لأن أغلب الدراسات السابقة تشير إلى بعض الإشارات البسيطة عنه دون التوسع في شخصيته، كما أنه لم يسبق طرح هذا الموضوع في أطروحة دكتوراه.

– المنهج المتّبع في الدراسة:

اتبعنا خلال هذه الدراسة المنهج التاريخي، بحيث أنه لا يمكن دراسة أي حادثة تاريخية دون اتباع المنهج التاريخي، فقد استخدمنا هذا المنهج طيلة إنجاز هذه الدراسة،والمتمثل في الفترة مابين 1551إلى 1565م خاصة في الفصل الثاني، والمنهج التحليلي المتمثل في تحليل الأحداث التاريخية المتسلسة.

التعريف بأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: تاريخ طرابلس المسمى التذكار فيما ملك طرابلس وما كان بها من أخبار. تحدث هذا المصدر عن فترة حكم الولاة العثمانيين في طرابلس الغرب وذكر منهم درغوث باشا وفترة حكمه وإنجازاته في طرابلس الغرب.

- شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، يعتبر هذا المرجع مهما في كتابة تاريخ طرابلس الغرب، حيث تناول هذا المصدر الصراع الإسباني العثماني، وقد تناول في جزء منه حول شخصية درغوث باشا ووفاته.

- أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تناول هذا المصدر فترة حكم الولاة العثمانيين في طرابلس الغرب ومن بينهم فترة حكم درغوث باشا في طرابلس الغرب.

- أحمد بن الحسين النائب الأنصاري: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تطرق هذا المصدر إلى احتلال الإسبان لطرابلس الغرب، كما تناول أيضا فرسان القديس يوحنا واستحواذهم على المدينة، فيعتبر هذا المصدر من المصادر الهامة التي تناولت تاريخ طرابلس الغرب خلال القرن السادس عشر.

أمّا **المراجع** التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- فتحي حسن نصار: ليبيا من الاحتلال الإسباني حتى الاستقلال 1510-1951.تناول هذا المرجع الاحتلال الإسباني لطرابلس الغرب.

- كوستانزيو برنيا: طرابلس من 1510إلى 1850.يعد هذا الكتاب مرجعا مهما في تاريخ طرابلس الغرب وقد تناول هذا الكتاب شخصية درغوث باشا وإصلاحاته.

- إتّوري روسّي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، وأيضا كتابه طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا يعتبر هذان المرجعان من المراجع التي دوّنت لتاريخ طرابلس الغرب، حيث تناول صاحب الكتاب شخصية درغوث باشا.

– عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تناول سامح التر في كتابة مولد ونشأة درغوث باشا وفترة حكمه في طرابلس الغرب.

– أحمد الطاهر الزاوي: عنوانه تاريخ الفتح العربي في ليبيا، حيث تناول هذا المرجع مجيء العثمانيين لطرابلس الغرب مع ذكر الولاة العثمانيين.

-DE grammont Henri-D: histoire dalger sous la domination turque 1515-1830 Ernest lerroux editeur paris 1887.

إنّ المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ طرابلس الغرب، كان لها دور في تدوين تاريخ طرابلس الغرب، إلاّ أن شخصية درغوث باشا لم نجد عنها معلومات كافية، وبالأخص مولده ونشأته.

– **الصعوبات التي واجهتني:**

هناك العديد من الصعوبات التي واجهتنا طيلة إنجاز هذه الدراسة، ويمكن حصرها فيما يلي:

–عدم توفر المصادر حول الموضوع، لأن أغلبية المادة العلمية حول الموضوع كانت عبارة عن مراجع.

– الموضوع غير مطروح بكثرة في المكتبات الجامعية.

– قلّة الدراسات في المكتبات الجزائرية حول موضوع تاريخ طرابلس الغرب في العصر الحديث خاصة.

– كثرة وجود الاختلافات ما بين المادة العلمية في سرد الأحداث والروايات التاريخية، فقد أصبح من الصعب الإلمام بالموضوع، بالإضافة إلى ذلك؛ هناك اختلاف في التسلسل الزمني للأحداث.

مدخـــل

تنوعت الفئات السّكانية عبر العصور في مدينة طرابلس الغرب[1] بداية من البربر ودخلها العرب منذ الفاتح من القرن سابع للميلاد أما في القرن الحادي عشر للميلاد اجتاحت البلاد بعض القبائل العربية مثل بني هلال حيث كان العرب يتمركزون في المناطق الساحلية وامتزجوا بالبربر من الناحية الغربية للبلاد وقد كانت هذه القبائل العربية تسكن برقة[2] وفزّان[3]وينتسب العرب إلى بني سليم وهم من بطون بني هلال بالإضافة إلى فئة اليهود، وهم من أقدم السكان كذلك نجد من بين القبائل الزنوج والعبيد[4].

1- القبائل والثورات المحليّة:

أ- قبائل بنوسليم وبنو هلال:

وقد تعرضت طرابلس الغرب قبيل مجيء الحفصيّين، إلى الخطر بسبب الحملات الشديدة التي قام بها بنو هلال[5]وبنو سليم حيث انقسمت كل من برقة وسرت وزويلة ولبدة إلى اعتداء هاتين القبيلتين ثم قسم العرب إفريقية.

---

[1]-**طرابلس الغرب**: أسّسها القرطاجيون في القرن الخامس ق م وجعلوا منها محطة تجارية احتلها الرومان والوندال والبزنطيين وفتحها المسلمون سنة 643، احتلها الإسبان 1510م ثم العثمانيون 1551م. ينظر: ج أو هامبسترايت: **ج أو هامبسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م)** تر وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، ،دار الغرب الإسلامي،د ط، تونس،ص 126.

[2]-**برقة**: تأسست في القرن 3 ق م، وقد عرفت بالغربية لأنها تقع غربي حدود مصر بمسافة بعيدة وهي كبيرين واسمها شحات وسوسة وسلات واسمها برقة أو برانق. ينظر: محمد إبراهيم لطفي المصري: **تاريخ حرب طرابلس**، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق بينها، ط1،د م ط،1946م، ص 10.

[3]-**فزّان**: منطقة كبيرة جدا مسكونة فيها قصور عظيمة وقرى كبيرة كلها عامرة بناس أغنياء يملكون النّخيل والأموال والغالب على ألوان أهلها السودان. ينظر: حسن الوزان : **وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983م، ج1، ص ص 146،147

[4]-محمود الشنّيطي: **قضية ليبيا**، مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، 1951م، ص ص6 - 8.

[5]-**بنو هلال**: إنحدروا من قبيلة هلال وأولادها بنو عامر القاطنون بوهران وتلمسان وينتشرون نحو ليبيا إلى صحراء تكوراين وهم أثرياء. ينظر: مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، د ط، د م ط، 1984م، ج1، ص 103.

حيث أصبحت طرابلس تابعة لبنوسليم[1]وتونس لبني هلال[2].ولم تتعرض قبيلة بنو سليم للسلطة الحفصية، حيث يقول ابن خلدون " **أنه منذ ظهور الإسلام لم يخضعو أبدا لأي سلطة كما لم يشاهد أنهم أجبرو على دفع الضرائب...حتى عندما دخلوا برقة وإفريقية وجد بنو سليم أنفسهم في بعد عن كل سلطان ولم يتأثرو، ولكن عندما إستعان بهم الحفصيون بلغ أعتدادهم بأنفسهم الى القمة**"[3] كما كانت برقة حسب رأي المؤرخين والجغرافيين والعرب غير تابعة للمغرب، بل كانت خاضعة لمصر[4].

ب– ثورة قراقوش والميورقي:

نظرا لنشوب الثّورات والانتفاضات التي شهدتها طرابلس الغرب حيث حاولت أن تستردّ قوّتها فتمكّنت من تعويض ما فاتها من ثورات مثل ثورة قراقوش[5]والميورق[6] إذ يقول التّجاني في رحلته أنّ قراقوش قد وصل من المشرق في سنة ست وثمانين وخمسمائة وأنّه حاصر طرابلس بمن إلتف عليه من العربان حتى استولى عليها وكانت إذ ذاك خالية من الأقوات والأجناد فبقيت طرابلس تحت بيعة

---

(1)–**بنو سليم**: هم أقوام معروفون بميلهم إلى الحرب والغزو وقد شاركوا في حركة القرامطة بالجزيرة العربية في ق 9 كانت لهم علاقة بالفاطميّين في المناطق العليا من النّيل، و قد سمحت الفرصة للتخلص منهم في عهد خليفة الفاطمي بمصر. ينظر: هنريكو دي أغسطيني: **سكان ليبيا القسم الخاص بطرابلس الغرب**، تع وتق: خليفة محمد التليسي، دار العربية للكتاب، ط 2، ليبيا، تونس، 1978م، ص 29.

(2)–محمود ناجي: **تاريخ طرابلس الغرب**، تر: عبد السلام ومحمد الاسطى، مطبعة العريب، بيروت، دس، ص141.

(3)–إسماعيل كمالي: **سكان طرابلس العرب**، تع: حصن الهادي بن يونس، دار الوطنية للكتب، د ط، د م ط، 1997م، ص 40.

(4)– نفسه، ص 40.

(5)–**قراقوش**: دخل طرابلس وهناك قرية تسمى بقراقش وانضم إليهم كل من بني هلال وبني سليم فقويت بالعرب شوكته وكثرت عصاباته فنهض بهم الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستولى على طرابلس لقلة مابها من الجند والأقوات.ينظر: الطاهر أحمد الزّاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، دار المدار الإسلامي، ط 4، لبنان، 2004م، ص ص246،247.

(6)– خليفة محمد التليسي: **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، دار الكتب الوطنية، ط3، د م ط، 1997م، ص 58.

قراقوش سنيين يسيرة ثم إنتفضت عليه هي وغيرها، وقد جرى حصار بين قراقوش وميورقي[1]، الذي أتى من بلاد الجريد قاصدا حصاره[2].

2- السلطة الحفصيّة في طرابلس الغرب:

إنّ قرب طرابلس الغرب من السلطة الحفصيّة جعلها معقلا شرقيا خاضعا لسيادتهم، وقد أمرالسلاطين الحفصيّين الأهالي بتحصين المدينة ورفع أسوارها [3]وقامت هذه السلطة بتعيين وال حفصي معين من قبل تونس في القرن الرابع عشر لميلاد إذ حرص السكان على الإعتناء من حسابهم الخاص بالأسوار الميتة وقضى الأهالي حوالي مائة سنة لإنجاز جهاز دفاعي إضافي متمثل في بناء مقدم جدار أو ستارة في الواجهة الجنوبية[4].

وكانت طرابلس الولاية تخضع للحفصيين خضوعا مباشرا في عهد قوة هذه الدولة، غير أنها في حالة ضعفها أصبحت سيادتها عليها إسمية فحسب، ولا سلطان لحاكم إفريقية على طرابلس وأهلها ولا نفوذ له بينهم، كما كانت برقة هي الأخرى تتبع سلطان المماليك في مصر، تبعية إسمية في هذا العهد على الرغم من انتشار سلطان هؤلاء على معظم الشرق العربي[5].

وقد نعمت المدينة بكثير من الاستقرار، ترتب على ذلك بعض الإنجازات المعمارية التي تدل عليها كتابات الرحالة[6].وبعد وفاة ابن غانية أصبحت طرابلس الغرب تابعة لأسرة بني حفص، وقد بقيت طرابلس تابعة للحفصيين حتى سنة 730 هـ وتمثلت مهمة السلطة الحفصية في جمع الخراج وتجنيد الرجال وقد بقي الطرابلسيون تحت سيطرة النفوذ الحفصي ولم يجدوا سبيلا للخروج عنهم حتى أعلنو

---

[1]-**الميورقي**: هو من بني غانية من المرابطين من قبيلة صنهاجة وعلي الميورقي هو صاحب الميورقة وقد استولى على طرابلس وصفاقس وقابس. ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص 244.

[2]- أبو محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، د ط، ليبيا، تونس، 1981م، ص ص 243، 244.

[3]- خليفة محمد التليسي: المرجع السابق، ص 59.

[4]-روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في عهد الحفصي من ق 13 إلى نهاية ق 15م** نقله إلى العربية: محمد الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1988م، ج 1، ص 424.

[5]- محمد مصطفى بازامة: المرجع السابق، ص 24.

[6]-صلاح أحمد البهنسي: **طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني**، دار الآفاق العربية، ط1، مصر، 1424هـ/ 2004م، ص 15.

التمرد عليهم سنة 1460م،إذخضعت طرابلس في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين للحفصيين، ولم يكن يعنيهم من أمر طرابلس سوى الحصول على أموالها، لذلك كثيرا ما أصاب المدن الخراب بسبب تخاصم أصحاب النفوذ وتعرضها لهجمات البدو وخاصة أيام القحط[1].

3- الزّعامات المحليّة:

نشبت العديد من الثّورات المحليّة داخل البلاد، مما أشعل نار الفتنة في كل البيوت وانقسمت البلاد إلى طوائف وأصبحت طرابلس الغرب تعيش نوع من الاضطرابات والفوضى والقلاقل التي كانت تهدف إلى طرد الوالي الحفصي فتدخل أعيان طرابلس الغرب في إخماد هذه الفتن[2].وفي هذه الفترة ظهرت الاغتيالات في المدينة فقام أهالي طرابلس بمبايعة محمد بن ثابت بن عمار مؤسس دولة بني ثابت واستمرّ حكمها حوالي ثمانون عاما[3]وسار بين الناس في سيرة حسنة، وأظهر التواضع والزهد في الحكم، ودعا ممثلا عن السلطان الحفصّي لإدارة شؤون البلاد، وترك لنفسه مظهر السيادة[4].

وكذلك ظهر أحمد بن مكيّ واليا على طرابلس، حيث إستطاع القضاء على حكومة البندقية التي كانت برئاسة فيليب دوريا الجنوي وهكذا بقيت طرابلس الغرب تحت سيطرة أحمد بن مكيّ وإبنه ثم إحتل أبو محمد بن ثابت طرابلس وعادت بعدها إلى سيطرة بني عمار وبقيت تحت إدارته إلى سنة 803هـ، فمنذ ذلك الحين بدأت طرابلس في إقتطاف ثمرات الراحة والسعادة[5].

أمّا في بقية البلاد، فكانت تحكم فيها الأهالي حكما محليّا يسيطر عليه شيوخ القبائل، حيث يعاونهم أعيان القوم، وكان الأمين محفوظا فيها بسبب توازن الكتل الاجتماعية، أما إقتصاديا يمتد نفوذ تجارتها إلى بلاد السودان وهذا دليلا على حرمة التّاجر بين القبائل التي ينتمي إليها، وهذا ما

---

(1)-رأفت غنيمي الشيخ: **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، دار التنمية، ط1، د ب، 1972م،ص 12.

(2)- عمر محمد الباروني: **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، د ط، ، 1952م، ص ص 10- 11.

(3)- خليفة محمد التلّيسي: المرجع السابق، ص 60.

(4)-نفسه،ص 61.

(5)- محمود ناجي: المرجع السابق، ص 145.

جعل طرابلس في رخاء واستقرار وثراء ومن جهة يصعب على المؤرخ أن يذكر للبلاد غير السياسي لأنه يعتبر تاريخا لبقية البلاد ولا يمكن لحاكم إفريقية أن يمد نفوذه فيها[1].

وبنهاية سنة 1451م قام السلطان الحفصي بحملة في إقليم طرابلس، من أجل جباية الضرائب وتابع سيره حتى تاورغاء[2] وعند عودته ولّى أبا النّصر جاء الخير[3] قائدا على طرابلس وأسفر ذلك بسقوط الحفصيّين وشكّلت البلدان الشرقية حكما ذاتيا خاصا بهم وعينوا شيخا على رأس كل مجلس شورى، أمثال سيدي منصور الذي بويع كملك مستقل بطرابلس والشيخ عبد الله[4].

وقد تميزت فترة الحفصيّين في تاريخ المدينة بضعف سلطان العائلات الطرابلسية مثل بني نقاد وسيطرة الفئات الشعبية على أمور الحياة وكانت تهدد طرابلس من أخطار تأتيها من قبل البحر والقادمة من جهة الأعراب أيضا فاستقرت هذه الأعراب بسبب تقلبات الحياة فكانت الشعوب كلما يضعفون يطلبون النّجدة من السلطان الحفصي[5].

أ- حكومة الشّيخ منصور:

ظلّت البلاد بعد طرد السّلطان أبي بكر الحفصي من طرابلس في شبه فوضى، يتنازع فيها بنو غراب من جهة وأنصار الوالي أبي بكر من جهة أخرى فنهض من بين السكان رجل يدعى الشيخ منصور،

---

(1)- محمد مصطفى بازامه: **ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان**، منشورات مكتبة الفرجاني، د ط، ليبيا، 1965م، ص ص 23، 24.

(2)-**تاورغاء**:بلد جنوبي مصراتة بنحو أربعين كم وبها عين غزيرة النبع عذبة الماء إستبحرت من كثرة ما تجمع من مياهها حتى أصبحت سبخة.ينظر: الطاهر أحمد الزّاوي: **معجم البلدان الليبية**، مكتبة النور، ليبيا، ط1388،1هـ/1968م، ص 79.

(3)-**أبا النّصر**: تنتهي هذه الأسرة إلى أصول عربية عريقة، ينحدر من قبائل بني سليم الذين دخلوا إفريقية مع بني هلال سنة 424م وأولاد سليمان وهم يقطنون في سرت. ينظر: عبد الهادي التّازي: **أمير مغربي في طرابلس 1145هـ/1741م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**،مكتبة الإسكندرية .ص 20.

(4)-إتّوري روسّي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م**، تر وتق: خليفة محمد التليسي، دار العربية للكتاب، ط 1 ط2، الاسكندرية، 1974م، 1991م، ص ص 146-148.

(5)- إحسان عباس: **تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع ق 9هـ**، دار ليبيا، ط 1، بنغازي، 1967م، ص ص195-204.

إذ تولّى الحكم في البلاد بعد انتشار الفوضى فأعجب السكان بمساعيه الحميدة ووافق الناس على مبايعته[1]، ولكن سرعان ما تغير حاله فأصبح جبارا متسلطا فقتله أحد أقاربه حوالي سنة 876هـ/ 1للميلاد، وخلفه رجل في الحكم يدعى يوسف ومات بطاعون سنة 885هـ/1للميلاد وخلفه في الحكم مامي، وبقي في الحكم نحو 12 سنة حتى وفاته واتفق السكان الطرابلسيّون على تعيين الشيخ عبد الله بن شرف فولوه حاكما عليهم وكان رجلا ميالا إلى العبادة والزهد[2].

ب- حكومة الشّيخ عبد الله :

تولّى الشيخ عبد الله الحكم، حيث لقب بسيدي عبد الله المرابط الولي الصالح لصلاحه وتقواه وكان رجلا عادلا مستقيما في أموره مع الناس جميعا، وله علاقات طيبة مع جاره ملك تونس، ولم يهتم الشيخ عبد الله بتحصين طرابلس وتقوية أبراجها وقصرها حتى لا تتجه إليه أنظار الدول الأجنبية بغرض استلائهم على طرابلس[3].

وفي الغالب لم تكن أيامه لامعة في تاريخ طرابلس الغرب، على الرغم من صلاحه وتقواه وتساهله مع الناس في أمور الجباية وعدم فرض الضرائب، فمن خلال هذا فقدت طرابلس مكانتها كموقع إستراتيجي وفقدان أسواقها شهرتها وبروز أزمة إقتصادية وتدهور الوضع السياسي[4].

4-علاقة طرابلس الغرب بالدول الأوروبية:

عرفت بلدان الشمال الإفريقي في العصور الوسطى إزدهارا كبيرا ، وذلك لتوفر شروط ملائمة للتجارة عبر البحر الأبيض المتوسط، وقد احتلت جنوا المكان الأول، فمنذ منتصف القرن الثاني عشر تكونت فيها شركات تجارية، وقامت بتوقيع اتفاقيات مع كل من تونس وطرابلس كما لحقت بجنوة كل من بيزا والبندقية في فرض تواجدهما في السوق[5].

---

[1]-الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص ص 136- 139.

[2]- الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، دار المدار الإسلامي، ط4، بيروت، 2004م، ص 276.

[3]- عمر البارواني: المرجع السابق، ص 13.

[4]- نفسه، ص ص 14- 15.

[5]-جان كلود زليتنر: **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500- 1795إفرنجي**، تر: جاد الله عزوز الطلحي، دار الجماهيرية، ط1، ليبيا، 2001م، ص 24.

لقد كانت علاقة طرابلس مع الدول الأوروبية عبارة عن علاقات تجارية، حيث كانت تتم عبر صقلية وكان التجار الصقليون مهتمين بالتجارة مع طرابلس سنة 1444م فأقيمت مفاوضات بين الملك ألفونسو[1] والسلطان الحفصي، كما كانت لها علاقات مع فينيسيا في القرن الرابع عشر للميلاد، إذ تميزت علاقاتها التفوق والنجاح، كما أبرمت مفاوضات بين الملك فيرديناندو[2] والحفصيين كانت تجارية محضة. وبعد سقوط بني هلال في القرن الثاني عشر للميلاد، كانت تزود طرابلس بالقمح من صقلية وهذه الأخيرة لها علاقات مع الموانئ الإفريقية لتسويق البضائع لذا عملت على حماية السفن الطرابلسية للموانئ التجارية وحركة التبادل التجاري من استراد وتصدير شبهت بالحركة التجارية مع موانئ الشمال الإفريقي فتمثلت المبادلات في أن فينيسيا أخذت من طرابلس الزيت والملح مقابل تزويدها بالأدوات الخشبية وغيرها من السّلع المستوردة والمصدّرة لهذه الدول الأوروبية[3].

كما تعتبر جنوه من البلاد الإيطالية، فهي أكبر سوق لتجارتهم، ففي أيام محمد بن ثابت أخذت الأمور تستقر فيها فنشطت التجارة وما لبثو حتى أعدوا لغزوها فحضروا جيشا وأسطولا للغزو ولم يستقر بنو ثابت فترة طويلة في طرابلس حيث أنهم إضطربت أحوالهم وتنازعو فيما بينهم حتى ذهب ريحهم فالتجأو إلى الأمير الحفصي[4].

وفي أيام ثابت بن محمد الثاني، أخذت الأمور تستقر في طرابلس، ونشطت التجارة، وكان الجنوبيون يريدون غزوها وجهزوا لها جيشا وأسطولا، حيث تسلّقوا السور، فلم يشعر السكان إلاّ والعدوّ في الشّوارع وأمام البيوت، وحيل بينهم وبين الدفاع، وملك العدوّ البلاد، واستولى على كل ما فيها من متاع وأموال، وأسر الرجال والنساء، ونقلو كل ما استولو عليه إلى جنوة وبما فيهم الأسرى، ولم يستطع ثابت بن محمد الدفاع عن المدينة فهرب إلى خارج السور[5].

---

[1]-**الملك ألفونسو**: هو تاجر صقلي من مدينة صقلية وكان يتعامل دائما مع الطرابلسيون سنة 1444م وقام بمفاوضات مع السلطان عمر عثمان وكانت الاتفاقية قد صيغت مرات عدة ووقعها ألفونسو، ينظر: إتوري روسي: مرجع سابق، ص 155.

[2]-**فيرديناندوا دارغونا**:أوفيردناند الكاثوليكي الذي دخل الاسطول الاسباني الميتاء سنة 1510م فقام بالاحتلال المدينة في ليلة واحدة، ينظر: مابل لومس تود: **أسرار مدينة طرابلس**،دار ف المحدودة، ط2، لندن، 1985م، ص 53.

[3]-إتّوري روسّي: المرجع السابق،ص ص 157- 159.

[4]-الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص ص263- 266.

[5]- الطاهر أحمد الزاوي: **ولاّة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، دار الفتح، ط1، بيروت، لبنان، 1390هـ/ 1970م، ص 126.

استغل الأمير الجنوي نسبة إلى جنوا فيليب دوريا نقمة أهالي طرابلس على محمد بن ثابت الذي كان مع خلاف مع ولده ثابت، وحالما نجح ثابت مع الأهالي في عزل والده محمد وتوليه السلطة، قام بإعداد حملة ضد سردينيا، وبما أن الحظ لم يحالفه فتوجه بأسطوله إلى طرابلس الغرب مستغلا تردي أوضاعها الداخلية[1].

فاحتلها سنة 855هـ/ 1355م لكن إقامة الجنويين بها لم تطل حيث باعوا المدينة لأحمد المكي صاحب قابس، حيث حكم بإرادة الشعب، ولكن هذا القرار لم يرضي السلطان الحفصي مما فعله الأهالي فنشبت صراعات ونزاعات بين تونس وطرابلس[2].

كما عرفت القرصنة، منذ عهود قديمة، أي قبل القرن السادس عشر للميلاد، فشاعت عند العرب وكانت نتيجتها شيوع الاسترقاق وبروز خلافات دينية مع العالم في القرون الوسطى وتمتد هذه العلاقات من الفرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر للميلاد، وعرفت بالحيوية والنشاط[3].

5- نهاية حكم الحفصيين:

لقد استرجع الحفصيّون قوتّهم ونفوذهم بعد المناوشات العديدة التي تعرّضوا لها من قبل الأهالي الطرابلسيون وتجلّت وحدتهم في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد على أيدي أبي العباس وأبي فارس الّذين أعادا للدولة بناءها ونشاطها ووحدتها واستطاعت أن تستعيد سلطانها على الجزائر وقسم من المغرب الأقصى لكن عاد الضعف إليها حتّى أنّ نفوذ الحفصيّين لم يكن يتعدّى مدينة تونس نفسها[4].

---

[1]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث المغرب الأقصى ليبية**، منشورات جامعة دمشق، دط، 1999- 2000م ،ص 147.

[2]- نفسه، ص 148.

[3]- إتّوري روسّي: المرجع السابق، ص163.

[4]- شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)** المكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1977م، ص 27.

اشتدّت الخلافات بين تونس وطرابلس لمدة طويلة، حيث اتّفق الطرفان على وضع حد للحرب بينهم ثم انصرف الطرابلسيّون لحلّ مشكلاتهم الداخلية فوضعوا مجلس شورى لهم، إلا أن هذا الهدوء لم يدم طويلا نظرا لتناسيهم تحصين المدينة فأصبحت عرضة للأطماع الإسبانية[1].

وقد دام حكم الحفصيّين على طرابلس الغرب حتى جاءها الإسبان في مطلع القرن السادس عشر للميلاد فعرفت البلاد مجموعة من الاضطرابات خاصة بعد أن ضعفت السلطة الحفصية وقام فيليب دوريا[2] بالاحتلال المدينة بعد مهاجمتها ولم يغادرها إلا بعد افتداء أمير قابس وفي سنة 1510م دخلت القوات الإسبانية بقيادة بيدرو نفارو[3]طرابلس الغرب وقتلوا 5000 رجل ولم يبق في البلاد سوى الحامية الإسبانية[4].

---

[1]– محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السّابق،ص 148.

[2]– **فيليب دوريا**: داهم مدينة طرابلس مع خمسة عشر سفينة حربية في 12 أبريل 1535م وهو جنوي الأصل وخرج من المدينة آخذا معه سبعة الآف سجين وغنيمة كبيرة.ينظر: حسن الوزّان: **وصف إفريقيا**، تر:محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2،لبنان، 1983م،ج 2، ص 99.

[3]– **بيدرو أو بيار نفارو**:إحتل بجاية في خسمة يناير 1510م حارب حواليّها إلى أن ظهر الوباء وقرّر الذّهاب إلى طرابلس بأسطوله المؤلف من خمسين سفينة شراعية أمام شاطئ طرابلس في 25 يوليو 1510م، قام بمقاومة عنيفة مع السّكان. ينظر:حسن الوزّان: المرجع السابق، ص 101.

[4]– محمود شاكر: **ليبيّة**، دار العلمية، ط1، د ب، 1972م، ص 227.

الفصـــل الأول:

طرابلس الغرب تحت الاحتلال الإسباني وفرسان مالطا

المبحث الأول: الإحتلال الإسباني لطرابلس الغرب

المبحث الثاني: إحتلال فرسان مالطا لطرابلس الغرب

لم يكتفي الإسبان باحتلال الجزائر ثم وهران والمرسى الكبير وبجاية، فقد توجّهت أطماعهم إلى توسيع نفوذهم نحو طرابلس الغرب التي تعتبر من بين أغنى دول شمال إفريقيا من خلال ثرواتها الهائلة التي تتمتع بها، لذا قام الإسبان باحتلالها سنة 1510م بقيادة الكونت بيدرو دي نافارو ولم يتركها الإسبان حتى منحوها لفرسان القديس يوحنا الذين سيطرو على البلاد واستحوذوا عليها سنة 1535م.

المبحث الأول: الاحتلال الإسباني.

أولا: الأسباب الحقيقية وراء الاحتلال:

ترجع الأسباب الحقيقة للاحتلال الاسباني لطرابلس الغرب إلى ما يأتي:

1-كانت طرابلس الغرب، أغنى المناطق المغاربيّة عموما، باقتصادها التّجاري والنّشاط الحيوي ،حيث توفّر لديها الذهب والفضّة وكل السلع بفضل النشاط التجاري.

2- كانت تحتل سوقا تجاريّا كبيرا ما بين أوروبا وأواسط إفريقيا وكذلك ما بين مصر وباقي الأقطار المغاربية، وساعدها في ذلك موقعها الجغرافي الممتاز، فكانت هناك تجارة واسعة في هذه المدينة، إذ كانت تتردّد عليها السّفن المدنية والحربية[1] .بالإضافة إلى ذلك القوّة الإسبانية لاسيما بعد وحدة فريديناند الكاثوليكي مع الملكة إيزابيلا، وكذلك الدور الذي لعبه الكاردينال خيمينيس[2] الذي كان يكن عداوة صارخة للمسلمين ودائم الإلحاح على فريديناند بضرورة مطاردة المسلمين واحتلال سواحل شمال إفريقيا[3].

ويقول المستشرق الإيطالي اتّوري روسّي بأن السبب الحقيقي وراء الاحتلال الاسباني لطرابلس هو أنّ أوروبا كانت تعيش أحداث أخرى تتّجه إلى حفظ التوازن، ثم إلى مواجهة التوسّع الإسلامي وكانت

---

[1]- فتحي حسن نصّار: **ليبيا من الاحتلال الاسباني حتى الاستقلال 1510– 1951** ،دار الجندي، ، ط1،القدس، 1436هـ / 2015م،ص ص 22- 23.

[2]- **الكاردينال خيمينيس**: ولد في قشتالة 1436- 1517تم تعيينه أمينا لسر المملكة 1492ثم كاهنا لطليطلة 1495،ثم حاكما لقشتالة حتى وفاة الملكة 1504،ثم رئيسا لمحاكم التفتيش وفتح وهران 1509. ينظر: بسّام العسلي: **خير الدين بربروس والجهاد في البحر** ، 1470- 1547م، دار النفائس ،ط 1،د ب، 1400هـ- 1980م، ص 45.

[3]- مصطفى عبيد: **طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510– 1551م**، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 18. ص 321.

المقاومة وحركة الاسترداد قد انطلقت من أقصى بلدان أوروبا الغربية، من إسبانيا، التي استطاعت في سنة 1492م أن تطوي صفحة آخر المماليك العربية في غرناطة[1].

لم تختلف سياسة الغزاة اتّجاه المدينة وسكانها عن سياستهم في المناطق التي أحتلّت سابقا بارتكاب مجازر فضيعة ذهب ضحيتها حوالي ستة آلاف طرابلسي ألقيت جثثهم في صهاريج النيران بالجامع الكبير، أو رمي بها في البحر كما تمّ أسر أكثر من ألفين السكّان[2]، ولم يكتف الإسبان بهذا فحسب، وإنّما قاموا بحماس شديد بعمليات تجاريّة وتوسّع في احتلال البلدان وانتهزوا إلى احتلال سواحل إفريقيا الشمالية، وكان احتلال الشّمال الإفريقي أمرا ضروريّا بالنسبة للإسبان، لأسباب سياسية واقتصادية وفي نفس الوقت لسبب ديني.[3]

ثانيا: أسباب غير حقيقية

قد كتب المؤرخون في كتاباتهم أنّ احتلال طرابلس الغرب قصة غريبة، تتمثّل في أنّ أهل هاته المدينة فيما مضى كانوا أغنياء وليس لهم خبرة بالحروب، فبينما هم كذلك إذ قدّمت عليهم سفن النّصارى تجّارا بسلعا كثيرة فنزلت بالمرسى فخرج إليها رجل من التجار فشترى منهم جميع ما بأيديهم من السلع ونقد لهم ثمنها، ثم استضافهم رجل وقدّم لهم طعاما فاخرا فأخذ ياقوتة ثمينة فدقّها دقاً ناعماً فبهتو من ذلك، فلمّا فرغو من الأكل قدّم لهم دلاعا (بطيخا أخضر)[4]، ولم يكن يملك سكّينا في بيته لقطع الدلاعة فأسرع للسّوق ليشتري السكّين فاستغرب التجّار لرخاء المدينة ولاحظوا أن سكان طرابلس قد أصبحو غير مسلحين إلى درجة يمكن معها الاستيلاء على المدينة بسهولة فائقة[5].فلما رجعو إلى بلدهم سألهم ملكهم عن حال البلد التي قدمو منها فقالو: **"مارأينا بلد أكثر منها مالا وأقل سلاحا وأعجز**

---

(1)-إتوري روسي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، تر وتق: خليفة محمد التليسي ،ط2،ج ع ل، طرابلس، 1969-1985م، ص 15.

(2)- محمد شرعي بن معيزة: **دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الإيالات المغاربية ودول جنوب غرب أوروبا(إسبانيا، فرنسا، الدويلات الإيطالية) خلال القرنين 10-11هـ/ 16-17م** رسالة الماجستير، تخصص: التاريخ الحديث، غرداية، 2011-2012م، ص 113.

(3)- إتوري روسي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، ص15.

(4)- محمد بن عثمان الحشائشي التونسي: **رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)** تق وتح: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط 1، 1965م، ص 55.

(5)- إتوري روسي: المرجع السابق، ص 15.

أهلا عن مدافعة عدو" فتأهّب ملكهم لدخولها في مراكب البحر فدخلها في ليلة واحدة بلا كبير مشقة واستولى عليها[1].

كما كان وراء احتلال الإسبان لطرابلس الغرب" ظهور مرض الطاعون في بجاية، حيث اشتد وباله حتى كان يموت في بعض الأيام مائة رجل فما كان من الكونت بيدروا دي نافارو إلا أن أسرع بمغادرة المدينة، قاصدا غزو طرابلس، وكان ذلك مطمحه الأكبر"[2].

ثالثا: طرابلس تحت سيطرة الإسبان:

أ- التجهيز لاحتلال طرابلس الغرب:

وتبيّن لنا بعض الشهادات واقع المدينة وأوضاعها، وذلك من خلال تلك الشهادة التي بعث بها قائد الحملة الكونت بيدرو دي نافارو إلى نائب الملك بصقلية، ينقل إليه خبر احتلال المدينة ووصفها قائلا: **"سيدي إن هذه المدينة هي أكبر في واقعها مما كنت أتصور، ورغم أن الذين يشيدون بها ويطرونها يتحدثون عنها حديثا حسنا،إلا أني أرى أنهم لم يقولوا إلا نصف الحقيقة**[3]." فأرسل إليه الملك الكاثوليكي فرديناند أسطولا إلى طرابلس[4]، وقبل دخوله إلى طرابلس اتجه نحو فافينيانا على رأس 8000رجل حيث كان ينتظر السفن القادمة إليه من نابولي وصقلية للمشاركة في الهجوم على طرابلس وقد نسقت حملة طرابلس تحت إشراف وتوجيه نائب ملك صقلية[5].

---

[1]- عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية 1661- 1663م**، تح وتق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ط1، 2006، مج 1،ص 143.

[2]- مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، ط1، الإسكندرية، 1988- 1989، ج 2، ص 379.

[3]- خليفة محمد التليسي: **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**،ص 68.

[4]- حسن الوزّان: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م، ج 2، ص 101.

[5]- إتوري روسي: طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ص 17.

وجرت هذه الأحداث في عهد الإمبراطور شارل الخامس[1].وفي أيام الشيخ عبد الله بن شر[2]،تم تنفيذ الحملة بمشاركة جنود إيطاليين، وخاصة من صقلية، حيث تكونت هذه الحملة من60سفينة. ومن غليونين[3] وعدد من المراكب ذات الشراعين و50 مركبا ذات الأشرعة الثلاثية. وكذا انضمت إليها من مالطا[4] خمس سفن مالطية مسلحة تسليحا جيدا[5] .وقد اقتصرت الحملة على المدينة وقلعتها وكانت بلدة تاجوراء[6] تشكل قاعدة بحرية هامة تتجمع فيها، وتنطلق منها حركة المقاومة للوجود الإسباني[7]وتمت عملية احتلال طرابلس ووضعوا بها الاسبان حامية تتألف من خمسة آلاف جندي[8].

كما بلغ أسطول بيدرو نافارو شواطئ طرابلس وفتح نيران مدافعه على المدينة وكان ذلك عند الساعة التاسعة صباح يوم الخميس25يوليو سنة 1510م[9] وهو يوم القديس يعقوب عزيز على الإسبان وقسّمت الحملة إلى أربع فرق كبيرة تعداد كل فرقة 1000جندي[10].وبدأ القتال واستطاع الإسبان إنزال

---

[1]- **شارل الخامس**: أو كارلوس كما كان يعرف في المصادر التركية، واشتهر في المصادر العربية باسم شارل الخامس أو شارلكان ملك إسبانيا وألمانيا معاصر لسلطان سليمان القانوني، كان أعظم ملوك أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر.ينظر:مجهول: **مذكرات خير الدين بربروس** تر: محمد درّاج، شركة الأصالة، ط1 ، 1431هـ/ 2010م.

[2]-حليمة نحاس وفايزة مزاري: **ليبيا خلال العهد القرمانلي، 1711م _ 1835م**،تخصص: حديث ومعاصر، شهادة ماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2015- 2016م ص 7.

[3]**– غليون**: من أنواع المراكب الشراعية البحرية في العصر المتأخر، كان من ضمن القطع البحرية العاملة في الأسطول العثماني يتسع لخمسين راكبا مع أسلحتهم كاملة. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1996،ص 332.

[4]- **مالطا**: تحتل موقعا استراتيجيا في وسط البحر المتوسط حيث كانت تعد قاعدة بحرية ذات تأثير مباشر على حركة الملاحة ومما زاد أهميتها أنها تقع بين حوضين الشرقي والغربي, تتكون من أربعة جزر تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على نحو التالي: جزيرة قوزو وجزيرة كومينوتو, للمزيد ينظر: زبارة سامية: **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (1520– 1827م)** شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر, جامعة ابن خلدون, تيارت, 2013- 2014م, ص 58.

[5]- إتّوري روسّي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، ص .18

[6]**– تاجوراء**: بلدة من بلاد طرابلس القديمة مازالت معروفة بهذا الإسم، وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بالقرب منها. ينظر: الطاهر أحمد الزّاوي: **معجم البلدان اللّيبية**، ص 75.

[7] - خليفة محمد التلّيسي: المرجع السابق، ص70.

[8]- علّو شريفة وزراولة العالية: **دور البرتغال والاسبان في الكشوفات الجغرافية وأثرها على الحركة الإستعمارية في الوطن العربي**، شهادة الماستر في الظاهرة الإستعمارية في الوطن العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016- 2017، ص 94.

[9]- راسم رشدي: **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**، دار النيل، ط1،القاهرة، 1953م، ص 87.

[10]- إتّوري روسّي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، ص 19.

إحدى عشر ألف جندي (11000) إلى البر، فدخلوا شوارع المدينة، فالتجأ والي طرابلس وأفراد عائلته إلى القصر بينما تجمّع السكان في الجامع الكبير، وأقلية منهم استمرت تقاتل بشجاعة، ولكن استطاع الإسبان احتلال طرابلس ودخلو الجامع وقتلو أكثر من ألفي رجل ثم هاجمو القصر الذي احتمى فيه الوالي، هو وعائلته فأسروه مع بعض الزعماء[1].

ب- الإستيلاء على المدينة:

يقول بيدرو نافارو أن المهاجمين تمكّنوا من الاستيلاء على السور وعلى برجين ثم تمكنوا بعد ذلك من البرج الذي يعلوا باب العرب وما إن سيطروا عليها حتى تدفق الإسبان إلى شوارع المدينة في حين تقول رواية أخرى أن القتال كان في البر والبحر وكان العدو يدفع المهاجمين بالحجارة والمياه الفائرة والنار الفارسية ودام الهجوم أربع ساعات كاملة[2]. أما ردود فعل الشعب الطرابلسي، فبدأت مقاومة الأهالي منذ لحظة وقوع أقدام الإسبان في المدينة فانقسمو إلى مجموعات وأخذوا يهاجمون معاقل المحتلين[3].

إلّا أن القراصنة الإسبان استطاعو الاستيلاء على المدينة وقد تم أسر 1400أسير طرابلسي إلى صقلية وبيعوا كرقيق في الأسواق[4] وكان هناك عدد كبير من الموتى بين العرب وهم من الكثرة بحيث لن تجد موطئا لقدمك إلا فوق الجثث، ويقدر عدد القتلى بين العرب بحوالي خمسة آلاف، أما الأسرى فهم أكثر من ستة آلاف، والقتلى المسيحيين فقد كانوا قليلين، وظلت المدافع الطرابلسية تواجه نيران المراكب الغازية أما عن خسائر القوات الإيطالية والإسبانية فقدرت بثلاثمئة قتيل بينهم أميرال الحملة[5]، وكتب نافارو إلى نائب ملك صقلية بمبايعة واضحة قائلا" لقد مات من العرب خمسة آلاف أو أكثر، أما دي طونسيس، احتراما للحقيقة فقد أنقض خسارة العدو إلى ألفين أما الخسائر من المسيحيين وقد قال عنهم نافارو كانوا قليلين، فقد ذكر طونسيس أنهم 150 شخصا وتحدّث نافارو عن الأسرى وقال بلغ

---

[1]- راسم رشدي: المرجع السابق، ص 87.

[2]- مصطفى بازامة: **ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان**، ص 59.

[3]- فتحي حسن نصار: المرجع السابق، ص 28.

[4]- محمد مصطفى بازامة: المرجع السابق، ص 59.

[5]- إتّوري روسّي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، ص ص 21-19 .

عددهم ستة آلاف بيعوا في سوق "النخاسة" بصقلية ونقل الأخير عبد الله إلى صقلية وبقي أسيرا فيها[1].

ج- 1-الرّأي العام الأوروبي:

إنّ الرّأي العام الأوربي، قد استقبل نبأ احتلال طرابلس الغرب بفرحة عظيمة وبهجة غامرة في أوروبا المسيحية. وقد شجّع هذا النجاح ملوك إسبانيا على أن يدفعوا بحملاتهم نحو إفريقية وقد قامت إيطاليا بتنظيم مظاهرة كبيرة تعبيرا عن فرحتهم وبهجتهم وتبادلوا التهاني الحارة وكذلك عمت الفرحة في البندقية وإيطاليا وصقليّة ومالطا كما أنشأت صقلية وسام تذكاريا بهذه المناسبة[2].

وجرى في روما احتفال كبير باحتلال طرابلس يوم 10أغوسطو وزاد فرح المسيحيين في اوروبا عندما علمو مدى وفرة خيرات هذه المدينة، وكانت مظاهر الابتهاج أعظم في ايطاليا الجنوبية وخاصة مالطة وصقلية[3].

2-الرأي العام العربي:

لم تكن البلاد الإسلامية كلها في ذلك الوقت قادرة على تشكيل أسطول حربي وجيش منظم ولما حدث المستحيل واتحدت هذه الدول المتباعدة لما استطاعت تجهيز أسطول قادر على أن يقف أمام الأسطول الاسباني.أما عرب مدينة طرابلس فلم تكن لديهم الوسائل الكافية للرد على الخصم بالمثل وعرقلة تقدم الاسبان نحو القصر والأسوار[4].

وفي سنة 1510وضع الأخوان نفسيهما في خدمة السلطان الحفصي في تونس ومنذ ذلك الحين أخذ يجوبان البحر ويغزوان الممتلكات الإسبانية في إفريقيا[5].

---

[1]- كاميللو منفروني: **إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية** , تر: عمر محمد الباروني, م م د ج ل ض غ إ, دط، 1988م, ص 119.

[2]- إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفّتح العربي حتّى سنة 1911م**، ص ص175-176.

[3]- عمر محمد الباروني: الاسبان وفرسان القديس يوحنا،ص 36 .

[4]- نفسه، ص ص 32-35.

[5]- إتوري روسي: طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، ص44 .

وشعر السلطان الحفصي في تونس أن الاسبان يكيدون له وأنهم ينتحنون الفرص للقضاء على بلاده؛ وأخذ يحتاط للدفاع عن بلاده، وساعده في ذلك السلطان عبد الله بن الحسن، وكانت نية السلطان الحفصي قد اتجهت إلى تعبئة الجيش من تونس والزحف نحو طرابلس لإعادة السلام فيها[1].

د- حملة الكونت بيدرو دي نافارو على جربة:

أقلع الكونت بيدرو نافارو من طرابلس يوم 30يوليو 1510قاصدا جربة في 12سفينة بين كبيرة وصغيرة بعد أن عهد إلى أحد رجاله واسمه جوم بدرو ريكيسنس أمر الدفاع عن مدينة طرابلس فكان في اعتقاد الكونت نافارو الاستسلام له دون مقاومة ورسا الأسطول الاسباني في قناة القنطرة[2]في جربة[3] وأنزل الجيش المكون من إحدى عشرة فرقة تبلغ في مجموعها 15ألف رجل عدا القوات البرية، وقد أوكلت قيادة الطليعة إلى "الكولونيل فيانللي[4]" الذي صدرت إليه التعليمات، بمراقبة الجزيرة، وإجراء الاستطلاعات اللاّزمة، وبدأ الزّحف عند السّاعة العاشرة تقريبا، تحت أشعة الشّمس والأرض القاحلة ملتهبة الرملية، وقد أنهك الإعياء الجند وقد استغل السكان الظرف للقيام بغارة مفاجئة، سقط فيها الإسبان أكثر من ثلاثة آلاف رجل[5].

واستعدّ سكان جربة كل الاستعداد للدفاع والقتال بعد ما سمعوا بفاجعة احتلال الإسبان لطرابلس وما ارتكبوه من جرائم[6]، حيث قام الأهالي بمقاومة عنيفة وأسرعت إلى الجزيرة أمدادا إسبانية يقودها جارثيا الفاريت ألبا ولكن الحملة فشلت في الإستيلاء على جربة[7]،كان بين النتائج التي أسفرت عليها هذه

---

[1]- عمر محمد الباروني: الاسبان وفرسان القديس يوحنا، ص 59.

[2]- **القنطرة**: مكان بقرب وادي الأثل, ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق, ص 285.

[3]- عمر محمد الباروني: المرجع السابق، ص 49.

[4]- **جيروم فيانللي**: تاجر إيطالي من أصول بندقية مكنته رحلاته المختلفة من اكتساب خبرة كبيرة حول البحار والمواقع الجغرافية، [4] خاصة في السواحل المغاربية، قدم خدماته للقادة العسكريين، والجواسيس والملوك، شارك في الحملة على وهران، ثم بجاية وطرابلس، أين قتل في أحد الحملات، ينظر: محمد شرعي بن معيزة: المرجع السابق، ص 77.

[5]- كوستانزيو برنيا: **طرابلس من 1510 إلى 1850**، تع: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د ط، تونس، 2009م، ص 32.

[6]- عمر محمد الباروني: المرجع السابق، ص 49.

[7]- أحمد بن الحسين النّائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**،تق وتع: محمد زينهم محمد عنب ، دار الفرجاني،، د ط ،القاهرة، ص 38.

المعركة هي مقتل أكثر من ثلاثة آلاف اسباني ومات في المعركة الدوق ألبا وكثير من النبلاء الإسبان والقواد الكبار[1]، وحين تأكّد الكونت بيدرو نافارو من الهزيمة، وموت الدوق ألبا، جمع فلول جيشه، وغادر جربة متجها إلى طرابلس، وفي سنة 1528م إختار شارل الخامس، فرانشيسكو فيلايسكيويز (francesco velasquez) حاكما على مدينة طرابلس، وقد اشتهر هذا بشجاعته ونبل نشأته، وتهيّأت له الفرصة خلال توليه الحكم للقيام بحملات ناشئة عن تهرب العرب من دفع الضريبة السنوية، ولم تتجاوز هذه الحملات طرابلس القديمة وزواغة[2] فاجتهد الإسبان في تحصين المدينة ولم تعد طرابلس على الإسبان بالفائدة التي كانوا يتوقعونها، ثم إن الطرابلسيون لم يكفوا عن المناوشة كما زاد الشعور لديهم بقلة جدوى الاستمرار في الاحتلال ورفض الناس في صقلية الهجرة إلى طرابلس وسكناها رغم المساعدات التي وعدت بها السلطات أولئك الذين يرغبون في الهجرة إليها، كما أن الإسبان أصبحوا غير قادرين في الاحتلال بسبب مشاكلهم في إيطاليا وصقلية كانت كثيرة وحروبهم بين شارلكان وفرنسوا الأول ملك فرنسا[3].

ثالثا: طرابلس في ظل الإحتلال الإسباني:

وبالنّظر إلى الأحداث الّتي تعرضت لها طرابلس الغرب، فقد شهدت طرابلس في تلك الفترة تدهورا في النشاط التجاري، ذلك لأنّ الإسبان احتكرو الأسواق طرابلس لأنفسهم، كما قاموا بفرض رسومات جمركية عالية على التجار المحليين، بينما أعفوا التجار الإسبانيين من أي رسم جمركي في ميناء طرابلس. ولقد عمد الإسبان إلى نهب المدينة وهجروا أهاليها حتى عمها الخراب والدمار وما زاد في الأمر هو محاولة الإسبان إقامة أسوار جديدة على أنقاض الأسوار القديمة[4],كما وزع في كتانيا منشور أعلن فيه نائب الملك بصقلية، هوجو دي مونكادا أنه سوف تقدّم للراغبين في السفر إلى طرابلس والإقامة بها وتخصص لهم الأراضي المناسبة للزراعة، ويعفون من كل ضريبة أو رسوم لمدة عشرة أعوام كما يبرؤون من كل إدانة مدنية أو جنائية عدا الجرائم الخطيرة إلا أن إسبانيا سرعان ما انهارت شيئا فشيئا فقد أهملت

---

[1]- عمر محمد الباروني: المرجع السابق، ص 60.

[2]- كوستانزيو برنيا: المرجع السّابق، ص41.

[3]- أحمد بن الحسين النّائب الأنصاري: المصدر السّابق، ص 39.

[4]- حليمة النحّاس وفايزة مزّاري: المرجع السابق، ص 9.

حملاتها على إفريقية[1]. وقد أصيبت طرابلس خلال هذه الفترة بتسجيل خسائر فادحة في وباء الطاعون الذي أصابها في سنة 1523م. أما شيخ طرابلس الذي اقتيد أسيرا إلى صقلية فقد أطلق سراحه بعد عشرة سنوات من أسره[2].

رابعا:فشل الإسبان في طرابلس الغرب:

ولم تعد حملة طرابلس الغرب على الإسبان بالفائدة الّتي كانوا يتوقعونها، فإن البلد كان بعيدا جدا عن ميدان الصراع، ثم إنّ الطرابلسيين لم يكفّو قط عن المناوشة والمناجزة.

وفي ذي الحجة 916هـ/ 1511م حاول الإسبان استعادة البلد ولكن المحاولة فشلت بسبب قوّة تحصينات الطرابلسيون، وفي حقيقة الأمر أن الإسبان كانو غير قادرين على الاستمرار في احتلال معظم موانئ السّاحل الأفريقي على النحو الذي فعلوه لأن مشاكلهم في ايطاليا وصقلية كانت كثيرة والحروب بين شارلكان وفرانسوا الأول كانت متصلة وفرنسا كانت حليفة الدولة العثمانية على شارلكان ودولة الهابسبورج[3].ومن جهة أخرى كان الطرابلسيّون يضيقون على الإسبان ويهجمون عليهم كلما وجدو قوّة وضيقوا عليهم وكذا في التموين والإتّجار مع القرى القريبة، ولكنّ خوف الإسبان الشديد يتمثّل في إشتراكهم بالأسطول العثماني في عمليّات غزو المدينة بشكل دائم[4].

خلال تواجد الإسبان في طرابلس الغرب، وهربا من زيّادة الخسائر الماديّة والبشرية ولضمان بقاء المدينة للمسيحيين، عهد الملك الإسباني إلى إلحاقها بمملكة صقلية بحجّة قربها منها، فغدت المدينة مرتبطة مباشرة بحكومة نائب الملك المقيم بصقليّة وقد قبل المرشد الديني لفرسان القديس يوحنا شروط الملك الإسباني شارل الخامس واتخذ طرابلس الغرب مقرا عسكريا[5]بعدما اتخذ جزيرة مالطا مقرا روحيا للمنظمة ومنذ ذلك الوقت عمل الفرسان إلى ترسيخ وجودهم في طرابلس التي انسحب الإسبان منها وتم انتقال

---

[1]- إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، ص 185.

[2]- نفسه، ص 185.

[3]- النّائب الأنصاري:المصدر السابق, ص ص 38 39.

[4]- عمر محمد الباروني: المرجع السابق, ص 71.

[5]- محمود علي عامر ومحمّد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث، (المغرب الأقصى- ليبية)** ص 152.

طرابلس إلى تبعيتهم سنة934هـ/ 1527م وجلا عنها الإسبان دون أن يحققوا أي غرض من أغراضهم، ولكن على أي حال لم يتركو البلد لأهله بل للمسيحيين أشد تعصبا منهم[1].

نظرا لتكاليف الكبيرة والمخاطر الجمة التي كانت تهدد الوجود الإسباني في طرابلس، وذلك نتيجة لتنامي التواجد البحري العثماني بالمنطقة، وكذا تزايد مقاومة الطرابلسيون للغزاة، وبعد طرابلس عن إسبانيا مما يرفع حجم تكاليف الحفاظ عليها، كل ذلك دفع الإسبان للبحث عن قوة موالية تدير طرابلس بالنيابة عنهم[2]وقد صرفن إسبانيا النظر عن طرابلس وذلك بسبب إهتمامها بمستعمراتها في العالم الجديد أمريكا [3].

وأخيرا تمّ الاتّفاق بين إسبانيا وفرسان القدّيس يوحنّا الذين كانوا يملكون جزيرة مالطة ويقومون بضرب المسلمين من هناك، وتمّ إنتقال طرابلس إلى تبعيّتهم سنة 934هـ/ 1527م، وجلا عنها الإسبان دون تحقيق غايتهم. وبالرّغم من ذلك لم يتركوها للمسلمين، بل للمسيحيين أشدّ عنفا منهم[4].

---

[1]– محمود علي عامر ومحمّد خير فارس: المرجع السابق، ص 152.

[2]– محمد شرعي بن معيزة: **دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الإيالات المغاربية ودول جنوب غرب أوروبا(إسبانيا، فرنسا، الدويلات الإيطالية) خلال القرنين 10–11هـ/ 16–17م** رسالة الماجستير، تخصص: التاريخ الحديث، غرداية، 2011-2012م ، ص 114.

[3] – عمر محمد الباروني: الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، ص 87.

[4]– النّائب الأنصاري:المصدر السابق, ص 39. -

المبحث الثاني: فرسان مالطا

أولاّ: ظروف خضوع طرابلس الغرب لفرسان مالطا

إنّ توالي الأحداث الأوربية الّتي أذهلت الملك شارل الخامس وصرفته عن التّفكير في التشبّث بطرابلس الغرب وهي الحروب الإيطالية عام 1227م زيادة على شدة المقاومة الشعبية الليبية، وحرب روما سنة 1527[1] وفي ظلّ الصراع العثماني الاسباني على البحر المتوسط وجزره صارت منظمة فرسان القديس يوحنا مصدر إزعاج للسلاطين العثمانيين، فحاصرهم السلطان سليمان القانوني وطردهم نهائيا من جزيرة رودس[2] يوم 26 ديسمبر 1522م، وهو يوم احتفال المسيحيين كما هو معلوم، ورغم أنه عفا عنهم وأطلق سراحهم إلا أنه منعهم من البقاء في قلعتهم بجزيرة رودس، ففتح البابا أمامهم المدن الايطالية واختار قائدهم الأب فيليب فيار دوليسل آدام النزول"بشفيتا فيكشيا" قبل أن يطلب من شارلكان منحه وفرسانه جزيرتي مالطا وقوزو[3].ولكن بشروط منها: تولي حكم طرابلس نيابة عن الإسبان، وكذا الإلتزام بدفع الضرائب، نظير النشاط الذي يقومون به[4]وقد ترددت المنظمة في قبول العرض بإلحاق طرابلس إلى سيطرتها الأمر الذي كان شرطا ثقيلا مقرونا بمنح مالطا وقد نصح المبعوثون الذين زارو طرابلس سنة 1524م، المرشد الأكبر بعدم قبول هذه المهمة الباهضة ومع ذلك كان لابد من قبول لإرادة الإمبراطور[5] حيث يقول الإمبراطور الإسباني في وثيقة التسليم: في 25يوليو 1535" قد وهبنا القصر والأماكن وجزائرنا في طرابلس ومالطا وقوزو إلى منظمة فرسان القديس يوحنا لإحياء المنظمة وإستقرارها وهي هبة خالصة إقتطاعا دائما شريفا حرا[6]"

---

[1]-إتّوري روسّي: **ليبيا منذ الفتح الفتح العربي حتى سنة 1911**،ص 192.

[2]- **جزيرة رودس**: جزيرة ببحر إيجه باليونان تجاه آسيا الصغرى وأكبر جزر لدو ديكانيز عاصمتها رودس بجزيرة جبلية في الداخل ذات شريط الساحلي خصب, استقر بها الدوريون 1000ق م ووصلت إلى أوج مركزها كقوة تجارية ومركز ثقافي في القرن الرابع ق م, ينظر: نجيب زيب: **الموسوعة العامّة لتاريخ المغرب و الأندلس**, تق: أحمد بن سودة, دار الأمير,د ط، بيروت، 1995م، ج 1,ص 144.

[3]- مصطفى عبيد: المرجع السّابق، ص 331.

[4]-محمد شرعي بن معيزة: المرجع السابق، ص 115.

[5]- إتّوري روسّي: طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ص 60.

[6]-عمر محمد الباروني: المرجع السابق ، ص 86.

قرر شارل الخامس ملك إسبانيا التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا بمالطا مقابل مساعدتهم للإسبان في الأعمال البحرية ضد العثمانيين وقد ظل فرسان القديس يوحنا يحكمون طرابلس حتى سنة 1551م[1]. وظلت تابعة لهم إلى هاذ العام عند احتلال الدولة العثمانية، وفي الفترة كلّها(1510-1551)كان الإسبان يحتكرون التجارة[2].

ومن جهة أخرى نجد أنّ العوامل التي جعلت الفرسان يوجّهون أنظارهم نحو طرابلس الغرب هي الظروف الّتي سادت المتوسّط ومنها خبرة فرسان القدّيس يوحنّا وسكّان ولايات إيطاليا الجنوبية في الصّراع مع هذه المنطقة بالإضافة إلى الخناق الدولي الذي أصبح مفروضا على شارلكان، ومنه التضييق العثماني في سواحل المغرب العربي،وصراعه مع فرنسوا الأوّل[3] الفرنسي، وتعدد أطماع البرتغال في سواحل البحر الأحمر، وظهور حركة مارتن لوثر التي استقطبت المسيحيّين وجعلتهم يلتحقون به.منفصلين عن البابا[4]وكنيسة[5] روما[6]،كما تعتبر الفترة الممتدّة ما بين 1522إلى 1535 من أصعب الفترات على فرسان القديس يوحنا وتم طردهم من جزيرة رودس في عام 1522م، بينما تمثل سنة 1535م السنة التي منحهم فيها قيصرهم وإمبراطورهم المقدّس شارلكان مدينة طرابلس[7].

---

[1]- محمود شاكر: ليبية، ص 28.

[2]- نقولا زيّادة: **إفريقيات (دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي)**،د د ش، ط 1، الإسكندرية، 1991، ص 46.

[3]- **فرانسوا الأول**: ولد في مدينة كونياك في الثاني عشر من آب عام 1494م، والده شارل دي فالوا وحفيد الملك الفرنسي شارل الخامس الذي توفي وفرنسوا لم يتجاوز العام الثالث من عمره اعتل فرنسوا عرش فرنسا في 21 من عمره جمع بين سمات الفروسية ومزايا عصر النهضة.ينظر: إلهام محمود كاظم: **سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها 1521_1525**مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد19، 2016، جامعة الكوفة، ص 179.

[4]- مصطفى عبيد: المرجع السابق، ص333.

[5]- **الكنيسة**: اسم سرياني معناه مجمّع و قد أستعملت الكلمة للدلالة على مجمع المؤمنين, حيث كانوا يجتمعون في أوقات منتظمة معين, ولما تزايد عددهم في المدن بدؤوا باستعمال كلمة الكنائس، ينظر: عمّاري سهام: **انعكاسات الثورة الفرنسية على أوروبا(1789– 1815)**, شهادة ماستر, تخصص: تاريخ معاصر, جامعة محمد خيضر, بسكرة, 2015- 2016م, ص 19.

[6]- **البابا**:لقب الحبر الأعظم والرئيس الأعلى للكنائس الكاثوليكية عند إتّباع الدين المسيحي, ينظر:
مصطفى عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص 61

[7]- مصطفى عبيد: المرجع السابق، ص ص333- 334.

ثانيا: التعريف بمنظمة (فرسان القدّيس يوحنا):

أ- تعريفها

يمكن تعريفها إلى أنّها هيئة خيرية دينية كانت تتولّى رعاية أحد الملاجئ في القدس، وتقديم المساعدات للمحتاجين من الحجاج المسيحيين الذين كانوا يقصدون الأراضي المقدّسة في فلسطين، وعند ظهور الحروب الصّليبية تحولت هذه الهيئة الخيرية إلى منظّمة دينية عسكرية وضعت نفسها تحت رعاية القدّيس يوحنا[1]،حيث شارك أعضاؤها في القتال ضد المسلمين على اعتبار أن هذه الحروب حروبا مقدسة، وبذلك خضعت هذه المنظمة للفرسان المحاربين الذين جعلوا منها أداة لخدمة الكيان الصليبي، وقد دان أعضاؤها بالولاء المباشر لبابا روما[2].وكان مقرها القدس في بادئ الأمر ثم عكا التي استقرو بها إلى غاية 1631وعندما قام بطردهم صلاح الدين الأيوبي[3]بعدما أن طرد الفرسان من القدس قامت هذه المنظمة بنقل مقر إقامتها إلى إيطاليا ثم رودس إذ قاموا بتأسيس مملكة مسيحية تحت رعاية البابا[4] إذ شكل فرسان القديس يوحنا الأوروشليمي[5] كيانا عسكريا وسياسيا مستقلا بقيادة الرئيس الأعلى للجماعة، الذي جعل مقر إقامته في المدينة في جزيرة مالطا، وكانت تسمى بفرسان الحق[6].

أما عن أفراد (فرسان الحق)، فكانوا يختارون من خيرة أبناء الأشراف الكاثوليك[7] أي لأحفاد ثمانية أجيال متتالية على الأقل من الأجداد النبلاء وكان هؤلاء الفرسان يعلقون صليبا مالطيا أبيض ذا ثمانية

---

[1]- فتحي حسن نصار: المرجع السابق، ص 30.

[2]- محمد شرعي بن معيزة: المرجع السابق, ص 45.

[3]- **صلاح الدّين الأيّوبي**: كان مقربا من العلماء ويحي المدارس والعلم وكان يذهب إلى الإسكندرية مصطحبا معه ولديه علي وعثمان لحضور مجلس الحافظ السلفي، ومن مستشاريه العالم الواعظ ابن نجا الحنبلي وكان شديد المواظبة على الجهاد ويسمى بطل حطين ومحرر الفرس، ينظر: علي محمد محمد الصلابي: **الدولة العبيديّة في ليبيا**، دار البيارق، ط 1، عمان، 1998م، ص 185.

[4]-حليمة النحاس وفايزة مزاري: المرجع السابق، ص 9.

[5]- **فرسان القدّيس يوحنا الأوروشليمي**: جماعة دينية تابعة للكنيسة الرّومانية الكاثولكيّة أنشئت في ق 11م ويطلق عليها اسم" الاسبتاريين" ينظر: عطيّة الويشي: **العثمانيون بطرابلس الغرب – جدليّة العلاقة بين المجتمع والدّولة** , ص149.

[6]- نيقولاي إيفانوف: **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516_ 1574م** نقله إلى العربية: يوسف عطا الله، تق: مسعود ظاهر،ط1، دار الفرابي، بيروت، 1988م، ص 220.

[7]- **الكاثوليك أو الكاثوليكية**: هو مصطلح واسع يستخدم لوصف أشخاص علمانيين ومؤسسات وعقائد ولاهوت أي يجسد القيم الروحية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية كما تعتبر هذه الأخيرة من أكبر طوائف الدين المسيحي, ينظر: عمّاري سهام: المرجع السابق،ص 62.

خطوط[1]، وكانو يحملون شعارا على شكل قلعة محصّنة وأسود تتوائب رافعة ذيولها ومخالبها بحثا عن فريسة يحرصها أسد[2]. وعند التحاق الفرسان بالجماعة كانوا يقسمون " أن لا ينكسو راية ولا يطلبو رحمة ولا يتراجعو ولا يستسلمو"، وقد شكل هؤلاء الفرسان قوة الفرنجة الرئيسية الضّاربة ومنذ عام 1530م لم تحصل أي حملة عسكرية كبيرة في غرب البحر الأبيض المتوسّط دون مشاركة فرسان مالطا[3].

ب- تأسيسها:

يرجع تاريخ هذه المنظّمة إلى سنة 1170م، عندما سمح الفاطميون لجماعة من تجار مدينة" آمالفي" الايطالية، بتأسيس دار لاستخدامها في تقديم المساعدة للحجاج القاصدين الأماكن المقدسة النصرانية بالقدس ولقد أهدى المؤسسون —رمزيا- مؤسستهم هذه إلى القدّيس يوحنّا المتصدّق و هو أحد بطارقة الإسكندرية في القرن السابع ميلادي. وفي فترة الحروب الصليبية تحوّلت المؤسّسة إلى منظمة عسكرية، واستمر أسطول المنظّمة يمارس عملياته ضد سفن المسلمين[4].كما تمّت نسبتهم إلى يوحنا المعمدان فعرفوا بفرسان القديس يوحنا، وكانت مهمة رهبان المنظمة في بداية عهدهم القيام بالمهام الطيبة، لكن بعد الحروب الصليبيّة تحولت جذريا من خلال المساهمة المباشرة في هذه الحروب بحجة الدفاع عن المرضى والحجاج[5].

ج- زعماء هيئة فرسان مالطا:

ونتيجة للأحداث السّابقة الذّكر قد توالى على حكم طرابلس عشرة من زعماء هيئة فرسان القديس يوحنا من 1530حتى 1551م وهم:جاسبار دي فاليرس سانجوسا (1530- 1531م) ، برنار دي نوما شادو (1531- 1532) ، أوريليو بو تيجلا ، غارسيا كورستن ، جورج سكيلبخ ، فرنادو بواكامونتي

---

[1] – نيقولاي إيفانوف: المرجع السابق، ص 222.

[2]–صلاح أحمد البهنسي: **طرابلس الغرب(دراسات في التراث المعماري والفني)**، ص 17.

[3]– نيقولاي إيفانوف: المرجع السّابق، ص 221.

[4]– ناصر الهادي الحضيري : **الهجمات الصّليبية على المغرب الإسلامي واستدعائها لتأسيس ايّالات المغرب العثمانية 1492– 1574م**, المجلة الليبية العالمية, العدد السادس, مارس 2016, جامعة بنغازي, ص 12.

[5]– محمد شرعي بن معيزة: المرجع السابق, ص 45.

،كريسيوفر دي سوليس فرفان ، جيوفاني لافاليني (مرشد أكبر) ، بيترو نوينز دي هرتيرا ، جاسبار دي فالي (1551م)[1].

ثالثا: طرابلس تحت سيطرة فرسان القدّيس يوحنا:

أ-إنجازات فرسان القديس يوحنا:

تُعدّ ليبيا المستعمرة الوحيدة لفرسان القديس يوحنا على ساحل إفريقيا الشّمالية فقبل عام 1498م كانت جزءا من دولة الحفصيين ثم خرجت عنها وأسست دولة مستقلة تحت حكمهم، فحينها أصبح وضع الإسبان بالغ الخطورة وانعدام الحديث عن استصلاح أراضي البلاد وإسكانها وتركّز اهتمام الإسبان على الاحتفاظ بمدينة طرابلس أو عدم السّماح بانتقالها لأيدي المسلمين فبرزت فكرة تسليمها إلى فرسان يوحنا[2]، حيث كان فرسان القديس يوحنا يقومون بتهديد مباشر للتّجارة الإسلامية وطرق التجارة،كما كانو يقومون بتهديد الطريق البحري للحجاج المسلمين لذلك قرر السلطان محمد الفاتح[3] فتح جزيرة رودس وقام بحصارها ثلاثة أشهر لكنه لم يتمكن من افتتاحها وحرص أيضا سليم الأول[4] على فتح الجزيرة وطرد فرسان القديس يوحنا الذين يعيشون في الأرض فسادا فطلب سليمان القانوني من

---

[1]- فتحي حسن نصار: المرجع السابق، ص 31.

[2]- نيقولاي إيفانوف: المرجع السابق، ص 217.

[3]**- محمد الفّاتح(1451- 1481)**: تمكن من جمع قوى الدولة وبدأ عهده بتحقيق النبوءة وفتح القسطنطينية عام 1453م وتمكّن من ضم أغلب الأناضول ووضع أسس تشكيلات الدولة وقوانينها الإدارية التي استمرت بالعمل حتى العصر الحديث, ينظر: حاجّي خليفة : **تاريخ ملوك آل عثمان (فذلكة التّواريخ)**, تق: سيد محمد السيد, سوهاج, جامعة الوادي, 2003م, ص 84.

[4]**- سليم الأوّل**: لم ينتهج السلطان سليم نهج والده في إدارة حكم الدولة، جعل مركز حكمه في مدينة تبرير 1505م ثمّ تمكّن من احتلال العراق العربي وبلاد خرسان و خاض حروب ضد المغول, ينظر: سعيد أحمد برجاوي: **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**، الأهلية للنشر والتوزيع، د ط، بيروت، 1993م، ص 91.

قادته متابعة أحوال هذه الجزيرة فوجد التعاون قائم بين رودس وجزر البندقية[1] ضد المسلمين وأن أعمال النهب والقرصنة تنطلق من هذه الجزيرة[2].

إنّ من أبرز القراصنة المسيحيين" فرسان القدّيس يوحنّا"(وهو من القدس) الذين نقلو مقرهم(في سنة 1310)من جزيرة قبرص إلى رودس، حيث بنو حصنا عظيما في وجه الهجمات الإسلامية. وقد كان هؤلاء الفرسان متمرّسين في الإبحار وركوب البحر بصورة عامة، وعلما بأنّ عدد سفنهم الشراعيّة التي كانو يملكون ما كان كثيرا على الإطلاق فمع ذلك تمكنّوا من تحطيم من كان يقف في وجههم متحديا[3].

ولقد سلمت إسبانيا[4] البلاد إلى فرسان القديس يوحنا بسبب ظروفها الخاصة وبعد مفاوضات طويلة امتدت من عام 1524م إلى عام 1530م [5].في نفس السنة أسند الدفاع عن طرابلس إلى منظمة الفرسان أو كما كانو يسمون فرسان القديس يوحنا، وكانوا قد منحوا ملكية جزيرة مالطا بعد أن طردهم الأتراك من جزيرة رودس وبعد مقاومة عنيفة في عام 1522 وفور امتلاك المنظمة لطرابلس اندفعت بنشاط في أعمالها على طول الساحل وفي دواخل البلاد وهنا وجد الفرسان عقبة أمامهم في شخص قرصان شهير وهو خير الدين كرمان المعروف بطارد الشياطين[6].

---

[1]- **البندقية:** هي مدينة إيطالية تقع في قلب البحر الأدرياتيكي، على مفترق طرق أوروبا المركزية، ازدهرت منذ القرن 10م، وكانت مركزا هاما للإشعاع الفكري والفني في عصر النهضة الأوروبية. ينظر: ناسي أسماء وبلال أمينة: **الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1800_ 1830م** شهادة ماستر، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2015- 2016م.

[2]- أحمد سالم علي: **السيطرة العثمانية على حوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، الإسكندرية، 2011م، ص 131.

[3]- لويس رايت وجوليا ماكليّود: **الحملات الأمريكية على شمالي افريقيا في القرن 18م**، تع: - محمد روحي البعلبلكي، مكتبة الفرجاني، د ط،طرابلس- ليبيا، ص 22.

[4]- **إسبانيا:** عرفت في التاريخ القديم بشبه جزيرة أيبيريا حسب التعبير العربي وعندما جاء الرومان أطلقوا اسم إسبانيا وكان العرب يتداولون لفظة الأندلس في التعبير عن إسبانيا. ينظر: حنان صحراوي وسعاد بن عامر: **شمال غرب إفريقيا وجنوب غرب أوروبا منطقة صراع في العصر الحديث 1500_ 1830م** تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016- 2017م، ص 8.

[5]- نبيل المظفري: **العلاقات الليبية التركية 1969- 1989 (دراسة سياسية – اقتصادية)**، دار عيداء، ط 1، 2009م- 2010م، عمان،الأردن، ص 26.

[6]- كامللّو منفروني: المرجع السابق, ص 53.

تسلّم فرسان القدّيس يوحنا طرابلس في محرم سنة 942هـ /يوليه سنة 1535م وعينوا عليها واليا هو القسيس "جسباري دي سنقوسا" وهو أول وال من هذه المنظمة على طرابلس، وكانت مهمة الدفاع عن البلاد مهمة شاقة، لأن الفرسان يواجهون عدة أعداء في طرابلس تمثلت في كراهية العرب في الدّاخل والعرب المحاربون في الخارج والأسطول التركي في البحر، ولم يكن لديهم من المال ما يكفي لما تتطلبه مهمتهم لإصلاح ما تركه الإسبان من خراب فأبدى الفرسان نشاطهم ثمّ استولو على زنزور[1]. والمنصورية ولماية[2]،والخشّان، والزّاوية[3]، وصبراته[4]، ولم يكن فرسان مالطا أحسن من سابقيهم في معاملة المنشآت المعمارية في طرابلس، بل أنّهم قاموا بتخريب وتدمير العمائر والقلعة التي أسند إليها خير الدين بربروسا وأعطاها إلى خير الدين كرمان فعليه بناء تاجوراء وكانت تعرف بقلعة القائد، كما أن فرسان القديس يوحنا يسيطرون على طرابلس أي أنّ السيادة على سواحل الشمال الإفريقي كانت للقوى المسيحية[5].كما قامت منظمة فرسان القديس يوحنا العمل في طرابلس بتحصين المدينة وزيادة استحكاماتها الداخلية والخارجية ورممت الأسوار والقلاع الدفاعية، وتحمّل أبناء المدينة مسؤولية البناء والترميم ، تحت سياط الفرسان وزاد الفرسان من ظلمهم للأهالي وتعذيبهم[6].

ب–نظام حكم فرسان مالطا:

كان نظام حكم هيئة فرسان مالطا في طرابلس الغرب يتمثل فيما يلي:

1– حاكم على طرابلس يقيم في قلعتها يعاونه في الغالب نائب، وفارس يشغل منصب أمين الخزانة ويهتم بالأمور المالية ويشرف على حركة الجمارك.

---

(1)– **زنزور**: قرية ببرقة تشبه أن تكون أثرية شمالي بئر، ينظر: الطّاهرأحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**، دار الاتحاد الغربي،ط 1, لأشهر بنحو 20كم الييبا, 1968, ص 175.

(2)– **الماية**: مدينة من أعمال المرية بالأندلس، ينسب إليها إبراهيم بن شاكر بن خطّاب اللمايي اللحام أبو إسحاق.للمزيد ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموّي الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، مج 5 ص 22.

(3)– **الزاوية**: هي قبيلة ويقيم فيها القسم الأكبر بالكفرة وينتشر الباقي بين الكفرة وبرقة البيضاء وفزان, ينظر: هنريكو دي اغسطين: **سكان ليبيا**, تر وتق: خليفة محمد التلّيسي, ليبيا,د ن، 1995، ج 2، ص 223.

(4)– الطّاهر أحمد الزّاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ص 292.

(5)– صلاح أحمد البهنسي: المرجع السابق، ص 19.

(6)– محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 155.

2-كانت قلعة طرابلس تضم بيت الحاكم ونائبه وبيوت الفرسان والمخازن، ويقيم فيها خمسون شخصا من الفرسان و مائتين من الجنود منهم 12 مدفعيا تمّ تجنيدهم من مالطا.

3- كانت طرابلس تضم حامية من أسر الفرسان والمشاة وعدد هذه الحامية لا يزيد عن 100 أسرة وكانت سلطة الحاكم لا تمتدّ إلى خارج مدينة طرابلس وبعض القرى مثل جنزور[1] والماية[2].

ومنح الإسبان طرابلس لفرسان القديس يوحنا، بسبب تخوّفهم من فقدان مكانتهم بين دول أوروبا [3].

رابعا: إستيلاء فرسان مالطا على طرابلس الغرب

في ليبيا قرن فرسان القديس يوحنا سياسة الإرهاب بالدبلوماسية إذ علق الفرسان آمالهم الكبرى بالسلطان الحفصي، وانتهج المالطيّون في مستعمراتهم سياسة القمع والتنكيل فوصل أول حاكم من الفرسان إلى طرابلس في شهر يوليو 1530م وخضعت المدينة لحكمه[4].

ازداد الأمر سوءا في طرابلس، بعد أن تشكّلت مع مالطا ركيزة كبيرة لحركة القرصنة البحرية المسيحيّة ضد المسلمين وهم فرسان القديس يوحنا وضرب شوكة العثمانيين بالإيالات المغربية زاد عن اهتمام العثمانيين بهذه المنطقة، ودفع السلطان سليمان إلى رد فعل سريع في توجيه الأسطول العثماني لاسترجاع المهدية ووضع حدا لفرسان القدّيس يوحنا بطرابلس الغرب حيث كانت بعيدة عن الاستنجاد الخارجي وهذا ما دفعها إلى الاستسلام فسمح لها بالذّهاب إلى مالطا وصقليّة[5], أمّا في فترة الثلاثينيات والأربعينيات فبقي وضع فرسان القديس يوحنا في بالغ الصعوبة خاصة بعد الاستيلاء على مدينتي بريفيزا (1538) والجزائر (1541).

---

[1]- **جنزور**: مدينة غربية تقع غرب مدينة طرابلس بنحو 15كم,. ينظر: سمير عبد المنعم خضري: **عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية(الزوايا والرباطات) منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني**, مؤسسة الأخلاص،د ط، 2008, ص50.

[2]- فتحي حسن نصّار: المرجع السّابق، ص 32.

[3]- حياة بن عامر وسمية زروقي: **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال العهد العثماني (1519-1830)** شهادة ماستر, تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017م، ص 10.

[4]- نيقولاي إيفانوف: المرجع السّابق، ص 222. [4]

[5]- أحمد سالم سالم على: المرجع السّابق، ص 133.

وكان حاكم طرابلس الغرب عام 1551م وهو جاسبار دي فاليرس قد ألحّ على المرشد الأكبر لفرسان القديس يوحنا في طلب المزيد من الدعم العسكري لأنه كان يتوقع هجوما بحريا عثمانيا. صادف هذا الوقت حصار الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا لجزيرة مالطا التي كانت معقل فرسان يوحنا، غير أنّ سنان عجز عن فتحها بسب قوّة تحصيناتها فاتجه إلى طرابلس لمساعدة مراد آغا في طرد هيئة الفرسان الذين كانوا يحتلون هذه المدينة[1]، ثم احتل فرسان مالطا الكاستلو أو القصر العتيق ولبثو فيه 20سنة[2].

كما قام فرسان القديس يوحنا بتدمير المدينة واتبعو مع أهلها سياسة التعصب الديني حيث أقامو حكومة مسيحية دينية استهدفت تغيير الوجه الإسلامي، كما جعلو من ميناء طرابلس جيبا صليبيا ينطلقون منه لضرب السفن الإسلامية، التي تجوب البحر المتوسط، يشنون منها غاراتهم ضد الأقطار الإسلامية لكن الأهالي قاومو هذه الهجمات مستعينين بالمجاهدين المسلمين أمثال عروج وخير الدّين، ولكن إمكانتهم الحربية حالت دون ذلك،إضافة إلى تحالف حاكم تونس الحسن الحفصي مع الفرسان ومساندتهم[3].

وقد ظلّ خطر الفرسان يهدد الشاطئ الإفريقي والباب العالي [4]، كما صرّح السلطان سليمان أن حكم الإسبان ومن بعدهم فرسان القدّيس يوحنا (فرسان مالطة)" كان استعمارا أبتليت به طرابلس"[5].وفي نهاية المطاف أرسل أهالي طرابلس الغرب وفدا إلى السلطان سليمان القانوني يلتمسون منه المساعدة لتخليص بلادهم من الحكم الصليبي[6].

وبالرّغم من محاولات الاحتلال الإسباني في الاستحواذ على طرابلس الغرب، إلا أنه في نهاية المطاف منحوها لفرسان القدّيس يوحنا الذين حاولو السيطرة على البلاد لكنّ الجهود المبذولة من قبل

---

[1]– حسن فتحي النصار: المرجع السابق، ص 32.

[2]– عبد الله حبيب: **رحلات الصحافي العجوز (شهران في لبنان وبلاد اليونان وايطاليا وطرابلس الغرب)**، مطبعة الأمانة، د م، 1938، ص 202.

[3]– عبد المنعم الجميعي: **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، التاريخ الحديث، القاهرة، 2007،، ص 28.

[4]– لويس رايت وجوليا ماكليود: المرجع السّابق, ص 25.

[5]– فاتح رجب قدارة: المرجع السابق, ص 20.

[6]– عبد المنعم الجميعي: المرجع السابق، ص 28

الأهالي كانت قوية جدا حيث قامو بمعارك دامية ضدّ الاحتلال وأهالي طرابلس مندفعين نحو الهجوم القادم لهم من طرف الإسبانيين المتسلّطين على أهالي المدينة، فقدّمو لهم كل وسائل التنكيل والتعصب الدّيني الهادف من فرسان القديس يوحنا الذين قدمو حملة على ليبيا بغرض تعويض(رودس) وإيجاد موطئ قدم لها في العالم الإسلامي، حيث كان اهتمامهم الكبير بطرابلس الغرب، إذ تعرضت قبلها للاحتلال الإسباني وأصبحت تحت سيطرة الإسبان، فاستولى عليها الكونت بيدرو دي نافارو الذي أثقل كاهل الأهالي، فقرر قسم كبير منهم مغادرة البلاد على البقاء في ظل الإسبان والخضوع لمنظّمة الفرسان الصّليبية للخروج عن الإسلام. وانتهت في الأخير باستنجادهم بالباب العالي.

الفصـــــل الثاني:

ولاية درغوث باشا في طرابلس الغرب

المبحث الأول: دخول العثمانيين لطرابلس الغرب

المبحث الثاني: شخصية درغوث باشا

بعد استنجاد أهالي مدينة طرابلس الغرب بالسّلطان العثماني؛ قرّر هذا الأخير الاستجابة لندائهم، فقد كان للأسطول العثماني الدّور الكبير في تخليص العديد من المناطق منها طرابلس الغرب التي كانت تعاني هي الأخرى من الغزو الإسباني فرد عليهم الأسطول العثماني بضرباتهم واستطاعو في الأخير تخليص طرابلس من أيدي الاسبان وفرسان القديس يوحنا. وهكذا دخل العثمانيين طرابلس وكان لهم دور كبير في البلاد من خلال بروز أهم الشّخصيات العثمانية. وقد قسّم الحكم العثماني في البلاد إلى ثلاثة أقسام:

- العهد العثماني الأوّل: 1551 - 1711
- حكم الأسرة القرمانلية[1]: 1711 - 1835
- العهد العثماني الثاني: 1835- 1911

المبحث الأوّل: دخول العثمانيّن لطرابلس الغرب:

أوّلا: طرابلس الغرب ولاية عثمانية:

كانت طرابلس الغرب من أهم الولايات التّابعة للدولة العثمانية؛ وذلك بحكم موقعها الجغرافي الهام، فهي تمتلك شريطا ساحليا متّسعا على حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي والمواجه للشّمال الأوروبي[2]. وكانت بداية حكم الأتراك العثمانيين في طرابلس الغرب من خلال استجابة السلطان العثماني لاستغاثة الأهالي الذين كانوا ينظرون إلى فعلهم لطلب المساعدة، كما لو كانو يستبدلون حكما أجنبيا بحكم آخر[3]، وإنّما قدروا

---

[1]- **الأسرة القرمانلية**: أصل هذه الأسرة من مقاطعة قرمانيا في آسيا الصغرى حيث أسبح أحمد باشا القرمانلي أول باشا إعترف به السلطان العثماني، ثم أصبح الحكم وراثيا لأبنائه وأحفاده، وكان حكمها ذاتيا. ينظر: كامل مسعود الوبيه: **الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842 – 1911)** م م ج ل د ت،دط،د ط، ص 18.

[2]- عبد الله الخياط: **العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا 1795– 1832م**, النشأة العامة, ط 1, طرابلس, 1394هـ- 1985م, ص 12.

[3]- السيد منير ومحمد التابعي: **الثّورة اللّيبية جذورها وحاضرها**، مطبعة أكاديمية ناصر العسكرية العليا، د ط، ص 46.

أنهم يستنجدون بخليفة المسلمين لطرد أعداء المسلمين، وهذا يعتبر عاملا قويا لارتباطهم بالاسلام[1].

وفي هذا الصّياغ يقول أحمد الطاهر الزّاوي في مشروعية الحكم العثماني وبدايته في طرابلس الغرب بأنّ أهالي المدينة قد "انتدبوا جماعة من أهل تاجوراء وركبوا شيئا وتوجهوا لصاحب القسطنطينية(الأستانة) يطلبون منه إعانة"[2]. وقد قبل السلطان سليمان القانوني بطلب الوفد الليبي، حيث أيقظ فيه نار الانتقام من الفرسان وملاحقتهم، لأنهم شكّلو عامل قلق وإزعاج طوال فترة حكم آبائه وأجداده حتى حكمه[3]. وبعد أن إطّلع السلطان على الحالة البائسة التي آلت إليها هذه المنطقة أرسل إليهم مراد آغا[4]لإغاثة سكان طرابلس وعند وصوله اتصل به أهل تاجوراء[5] ومنها حمل لواء الجهاد ضد منظمة القدّيس يوحنّا في 1539.إلاّ " أنّ الأستاذ الباروني يؤكّد أنّ مراد آغا انضمّ إلى باربروسا سنة 1538 وكان يثق فيه ويعتمد عليه وهو الذي أرسله إلى تاجوراء ليستأنف ما بدأه خير الدين كرمان ويترأّس الغزو على طرابلس وأمدّه بالسّفن والرجال والعتاد الحربي فالأستاذ الباروني يشكّك في إرسال الوفد إلى الأستانة"[6].

فبعدما وقعت طرابلس في قبضة الاحتلال الإسباني 892هـ/1530م منحها كارلوس لفرسان يوحنّا[7], تجمع الأسطول العثماني في شرقي البحر الأبيض المتوسط وكان مجموع سفنه مائة وخمسين سفينة، وركب فيها حوالي 17 ألف جندي،وستّمائة فارس،

---

(1) - السيّد منير ومحمد التابعي: المرجع السابق، ص 46.

(2)– فاتح رجب قدارة: **الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي**, المجلّة الجامعة, العدد 16, المجلد 4, نوفمبر 2014, ص 10.

(3) - محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السّابق، ص 160.

(4)– **مراد آغا**: وهو أوّل أمراء الترك في طرابلس وهو الذي بنى الجامع الكبير والمدرسة التي بإسمه وهي منذ أن أسسها مأوى للصّالحين، ينظر:عبد السلام بن عثمان الطرابلسي: **الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات** نقله واعتنى به: روفائيل رايكس، مطبعة الولاية،د ط، طرابلس الغرب، 1921م، ص 36.

(5)– **تاجوراء**: هي مدينة تقع شرق مدينة طرابلس الغرب، ينظر: جمعة محمود الزّريقي: **تراجم ليبية**, دار المدار الاسلامي, ط1، لبنان، **2005**، ص 87.

(6)– الطاهر أحمد الزّاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 297.

(7)- زبّارة سامية: المرجع السابق, ص 57.

وكان سنان باشا القائد الأعلى للأسطول[1]. وبمساعدة درغوث رايس وصالح رايس بايلرباي الجزائر في جوان وبعد 10 أيّام من الحصار سمح للفرسان بالجّلاء على متن سفينة فرنسيّة مقابل استسلامهم حالا، وهكذا تمّ فتح طرابلس وضمّها للخلافة العثمانية[2]،حيث انضمّت طرابلس الغرب إلى الخلافة العثمانية في القرن السّادس عشر وفرضت الحكومة العثمانية، قوانين ودفع جزية منظّمة للباب العالي، وبقيت الولاية قرابة قرنين تحت الحكم العثماني المباشر، يحكمها داي عثماني، يعيّن من قبل السلطان العثماني، ويعاونه في الإدارة موظّفون من الأتراك العثمانيين وجماعة من الإنكشارية[3] أو جنود أوربيّون مسلمون[4]،كما ظلّت الدولة العثمانية في طرابلس الغرب قرابة 360 سنة؛ وهي جزء منها.

وقد تأثّرت بالأنظمة والقوانين والتّعليمات التي كانت تصدرها، و بدأ التّنظيم الإداري في طرابلس الغرب منذ سنة 1551م وامتد إلى سنة 1572م، خلال حكم البيلربايات[5] ، وكان أولهم مراد آغا ودرغوث رايس وعلج علي[6] وجعفر باشا[7] من

---

[1]–الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ص 302.

[2]– زبّارة سامية: المرجع السّابق، ص 58.

[3]– **الإنكشارية**: بمعنى القوات الجديدة، وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تمّ جمعهم مابين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم، من مختلف الولايات العثمانية في أوربا، في وقت معين من السنة وهناك رأي مخالف وهو أن أفراد الإنكشارية كانوا من أولاد مسلمين. ينظر: سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مرا: عبد الرزّاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرّياض، 2000م، ص 41.

[4]–تولّلي ريتشارد: **عشرة أعوام في طرابلس**، تر: عبد الجليل الطاهر، دار ليبيا، د ط، بنغازي،1967، ص 32.

[5]– **البكلرباكوات**: مفردها بكلربكي ومعناها أمير الأمراء وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية، ينظر: سهيل صابان: المرجع السابق، ص 64.

[6]- **علج علي**: ولد قلج علي في كالابريا– وقد أسّر في إحدى غزوات خير الدين باشا لجنوب ايطاليا وكان أثناء ذلك لايزال صبيّا، ولدى اقتسام الغنائم كان من حصّة الريس علي أحمد، ينظر: عزيز سامح ألتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: عبد السلام أدهم،د ن، ط1، د ب، 1969م ص 223.

[7]- **جعفر باشا**: ولاّه السلطان مراد آغا سنة 990هـ واليّا على طرابلس بعد وفاة محمد باشا التركي وكان جعفر ضعيف الإرادة عاجزا عن القيّام بأعباء الحكم فانتهز الجند ضعفه واستولوا على أمور البلد واستغلوها لمصالحهم وإرضاء شهواتهم، فكثرت الثّورات. ينظر: الطاهر أحمد الزّاوي: **ولاّة طرابلس**، ص 163.

الـذّين وضـعو أسـس التنظـيم الإداري للإيالـة[1] ، كمـا يمثـل العصـر العثمـاني الأول 958-1123هـ/ 1551- 1711بدايـة مرحلـة جديـدة وهامّـة في تـاريخ طـرابلس، فقـد أصـبحت قاعـدة بحريّـة هامّـة ونقطـة انطـلاق الأسـطول العثمـاني، كمـا أنّهـا شـهدت تطـورا معماريـا وفنيـا، وتوسّـعا عمرانيـا لم تشـهده مـن قبـل. كمـا اهـتم الـولاّة العثمـانيون بتحصـين المدينـة، وذلـك بتقويّـة وتـرميم الأسـوار وبنـاء الحصـون والأبـراج، كمـا اهـتم الـولاّة العثمـانيون بالتّجـارة لمـا كانـت تـذره علـيهم مـن مكاسـب[2] ،كمـا كـان لـدخول العثمـانيين لطـرابلس أثـر بـالغ ، حيـث تمكـن الطرابلسـيون مـن مواصـلة نشـاطهم السـلمي التقليـدي الـذي يقـوم معظمـه علـى رعـي الغـنم، وأقلّه على التجارة بالبر والبحر؛ فتمكنّو في زمن قصير من إعادة مدينتهم إلى الازدهار[3].

قـد أيقـظ السـلطان سـليمان القـانوني في الأهـالي نـار الانتقـام مـن الفرسـان وملاحقـتهم، لأنّهـم شـكّلو عامـل قلـق وإزعـاج طـوال فـترة حكـم آبائـه وأجـداده حـتى حكمـه[4] كمـا كـان فرسـان القـديس يوحنـا يحسـبون ألـف حسـاب لهجـوم الأسـطول التركـي علـى طـرابلس، وقـد قضـى هـذا الخـوف علـيهم ومـا كـاد الفرسـان يعلمـون بحشـد سـفن الأسـطول التركـي في شـرقي البحـر الأبـيض المتوسـط حـتى توجّسـوا شـرا، واشـتدّ خـوفهم علـى مصـيرهم، وشـرعوا في تقويـة السّـور والأبـراج، واسـتنجدو بملـوك أوربـا لمسـاعدتهم ولكـن أوربـا لم تكـن مسـتعدة لسـماع هـذه الصـيحات بالقـدر الـذّي يطلبـه الفرسـان لتقويّـة مركـزهم في طـرابلس، فبـاءت جهـود الفرسـان بالفشـل، وكـان عـزم العثمـانيين علـى تخلـيص إفريقيـة[5] مـن خطـر

---

(1) –كامل علي محمود الويبه: المرجع السابق، ص ص 17 ،18.

(2)– صلاح أحمد البهنسي: المرجع السايق، ص 19.

(3) - أحمد بن الحسين النائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**،ص 49.

(4) - محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 160.

(5)– **إفريقية:** وهي إحدى قارّات الدّنيا ولما فتح عمرو بن العاص شروس– وهي إحدى عواصم جبل نفّوسة– كتب رسالته إلى عمرو بن الخطّاب بالمدينة المنورة، جاء فيه ذكر إفرقية مضبوطة بهذا الضبط، ينظر: الطاهر الزّاوي: **معجم البلدان اللّيبية**, ص 38.

النصارى في البحر الأبيض[1].وقام الأسطول العثماني بمهاجمة الفرسان المالطيين وطردهم من المدينة وصارت طرابلس تابعة للعثمانيين منذ ذلك الحين[2].

وقد أصدر السلطان سليمان القانوني أمرا في 6شعبان 958هـ/ 9 أغسطس 1551م بالهجوم على طرابلس. وفي يوم 13 شعبان 958هـ/ 16 أغسطس 1551م، تمكنت القوات من فرض سيطرتها على طرابلس وتم تعيين مراد آغا وال على طرابلس لأنه كان يحسن اللغة العربية[3]، إلا أنه هناك بعض الروايات تقول بأن مراد آغا كان مساعدا لخير الدين وصل إلى تاجوراء بسفينتين كبيرتين تحملان ثلاثمائة جندي تركي وسواء كان وصول مراد آغا وجنده من الأتراك إلى تاجوراء من القسطنطينية بأمر السلطان العثماني وتلبية لطلب الوفد العربي بحسب الرواية أو أنه وصلها من الجزائر حسب رواية أخرى، فإنه من المؤكد أن تولى مراد آغا قيادة العرب الليبيين كان برغبة منهم[4].

ويتبين لنا من خلال ماسبق، بأن إلحاق العثمانيين لطرابلس الغرب بالدولة العثمانية، يمثل إتمام الحلقة في أملاكها التي أخذت تتسع في الشمال، غير أن استغاثة الوفد الطرابلسي، عجَّل بتحقيق ذلك[5].

ثانيا: سنان باشا ودوره في طرابلس الغرب:

هاجم الأتراك طرابلس بأسطولهم سنة 1551م تحت إمرة أمير البحر سنان،باشا[6]وقام بقيّادة حملة كبيرة تكونت من حوالي مائة وأربعين سفينة، منها خمسون

---

[1]- الطاهر أحمد الزّاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ص 30.

[2]- محمود السيد: **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا–تونس– الجزائر– المغرب– موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة د ط، الإسكندرية، 2000م، ص 53- 54.

[3]- صلاح أحمد البهنسي: المرجع السّابق، ص 19.

[4]-تيسير بن موسى: **المجتمع الغربي الليّبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية**، دار العربية للكتاب، د ط، 1988، ص 16.

[5]-عمر علي بن إسماعيل: **إنهيّار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795– 1835**، مكتبة الفرجاني، ط1، بيروت، 1966، ص 23.

[6]-عبد الله حبيب، المرجع السابق، ص 202.

قادسا، وصندلان[1]وغليونة كبيرة. والباقي غليونات صغيرة، كان درغوث باشا وصالح رايس[2].

ضمن هذه القوات، فأمر قائد الأسطول بإحراق قصر بصقليّة، ونهب جزيرة قوزو ثم توجه إلى طرابلس وفي يوم 4أغسطس 1551م, نزلت القوّات العثمانية برأس أخيال قرب الميناء وبعد تقديم الإنذار النهائي للفرسان بضرورة التسليم[3]حيث قال سنان باشا للفرسان القديس يوحنا"..استسلموا لرحمة السلطان الذي أمرني بإخضاع هذه البقعة تحت طاعته ولسوف أمنحكم الحرية والحياة والممتلكات العائدة إليكم وإلا سآمركم جميعا تحت حد السيف"[4]. ثم بدأ سنان باشا بترتيب الجيوش والمدافع وتّمت جميع الاستعدادات، ولم يصدر الأمر بالهجوم لانتظار رد الفرسان، وفي أثناء ما كان يقوم به سنان باشا من ترتيبات جاء السفير الفرنساوي دارمون[5]، وطلب مقابلة سنان وأثناء محادثته رجاه أن يعدل على احتلال طرابلس وأن يتركها للفرسان وتوسل إليه لما بين الفرسان والسّلطان سليمان من صداقة، ولكنّ سنان رأى بأنه مأمور من قبل السّلطان باحتلال طرابلس وطرد الفرسان منها. وفي يوم 9أغسطس 1551م أطلقت المدافع على الأبراج والأسوار وعلى قصر الحكومة وكان ضرب المدافع قويا ومحكما[6]، وقد شكّلت سفن القرصان سنان باشا العاملة في شواطئ إفريقيا الشمالية جزءا هاما للأسطول العثماني، حيث قام هذا الأسطول بمهاجمة

---

[1]– **صندلان**: مفرده صندل وهو خف مصنوع من النّعل المتين له سيور من الجلد يثبّت بها في القدم، ينظر: مصطفى عبد الكريم الخّطيب: المرجع السّابق, ص 295.

[2]– **صالح رايس**: أو صالح باشا: كان أحد رفاق خير الدين بربروس وكان في مسيرة الأسطول العثماني في بروزة وإليه يرجع الفضل الكبير في الإطاحة بأسطول أندريا دوريا ودحره، ينظر: خليل ساحلي أوغلي: **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني(بحوث ووثائق وقوانين)**، م أ ت و ف ث إ ب،د ط ، إستامبول، 2000م, ص 322.

[3]- محمد سعيد سالم الطويل: **العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية 1795–1832م/ 1210–1248هـ**، تخصّص: التاريخ الحديث والمعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007- 2008م، ص 27.

[4]--حليمة النحاس وفايزة مزاري: ليبيا خلال العهد القرمانلي 1711- 1835م، ص 18.

[5]– **دارمون (daramont)**: سفير ملك فرنسا لدى سلطان القسطنطينية وهو شخصية محترمة ومحبوبة لدى الأتراك, ينظر: إتّوري روسّي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م**, المرجع السابق, ص 209.

[6]–الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 303.

الفرسان المالطيين وطردهم من المدينة[1] في صيف 1551 استطاع الأسطول العثماني بقيّادة سنان باشا من النّزول إلى الأراضي الطرابلسيّة، حيث توجّه إلى تاجوراء، ومنها تمّت عملية البحث والتخطيط في الهجوم على طرابلس فتمّت محاصرتها، في 14أوت فتحت المدينة والقلعة أبوابها للعثمانيين[2]واستطاعوا القضاء على الفرسان فقد قطّعوا تقطيعا واستطاع بعضهم أن يلوذ بالفرار قبل الاستسلام وذهبوا إلى تونس. وقد ذهب زعيمهم فيما بعد إلى مالطا وحصل على إقرار بالصّداقة الدائمة مع المنظّمة لنفسه وخلفائه، ثم بعد ذلك احتفل الأتراك بانتصارهم يوم 16 أغسطس في الخندق المقابل لخرائب القلعة وفي المسّاء أشعل الأسطول التركي الأضواء احتفالا بهذه المناسبة، وأصبح مراد آغا حاكما على طرابلس[3] ،حيث أبقى على نظام البلاد الداخلي،فكانت سياسة الأتراك العثمانيين في البداية، هي الدّفاع عن ولاياتها وحفظ الأمن في الدّاخل وجمع الضرائب[4]،ومنذ ذلك الوقت أصبحت طرابلس ولاية عثمانية، وقاعدة الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسّط، ومرسى للعثمانيين يربط البحر المتوسط بطرق القوافل المتّجهة إلى الصحراء، وإلى إفريقيا السّوداء جنوبا بالإضافة إلى جعلها ملجأ للسفن القادمة من الغرب، والمحمّلة بالحجاج[5].

ثالثا: النّفوذ العثماني في طرابلس الغرب:

بدأ العهد العثماني الأول في عام 1551، فحكم خلاله أكثر من 40 واليا[6]، فمنذ عام 1551 الذي يمثل بداية التواجد العثماني وحتى عام 1711 سميت هذه الحقبة التي امتدت 160عاما بالعهد العثماني الأوّل، وتميّزت بسيطرة الإنكشارية على السّلطة

---

(1)- محمود السيد: **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا–تونس– الجزائر– المغرب– موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة د ط، الإسكندرية، 2000م، ص 53- 54.

(2)– محفوظ سعيداني: المرجع السابق, ص 55.

(3)– إتّوري روسّي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، ص 79.

(4)- مفيدة محمد جبران: **أسواق مدينة طرابلس القديمة دراسة تاريخية اقتصادية**، منشورات مكتب إدارة المدن التاريخية، دط، 2010م، ص 15.

(5)– عبد المنعم الجميعي: **الدولة العثمانية والمغرب العربي** ، ص 29.

(6)– عيسى عفاف البشر المبروك: **الإصلاحات العثمانية في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثآني (المجالس البلدية نموذجا)**,دار المنظومة,د ط، 8201م, ص 441.

وفرض ضرائب على السكان، الأمر الذي أدّى إلى قيام عدة انتفاضات ضدّ الحكم العثماني، وقد تميّز بالتوتر السيّاسي وتعدد مراكز القرار وتدني الأوضاع الاقتصادية وتباطؤ نمو قوى الإنتاج من أهم سمات هذه الفترة, ليس في إيالة طرابلس فحسب، بل على مستوى الدولة العثمانية التي أصبحت تعاني من الهرم المبكر[1]، وكان استيلاء العثمانيين على طرابلس الغرب بمثابة إكمال الحلقة في أملاك الدولة العثمانية, بعد استيلاءهم على العراق والشام في أوائل القرن 16،كما كان استيلاء العثمانيين على طرابلس الغرب يمثل قمة الصراع البحري بين الأسطول العثماني وأساطيل الدول الأوربية في البحر المتوسط[2].

إن مجيء الأتراك العثمانيين إلى السّاحل اللّيبي كان لابد منه لتدعيم حركة نضالهم مع الأعداء في البحر الأبيض المتوسط، من أجل السيادة عليه وانتزاعها من الإسبان. وقد نجحوا في مشروعهم هذا، بل نجحوا في جعل موانئ لوبيا[3] وفي مقدمتها طرابلس قاعدة لأعمالهم الحربية والبحرية ضد سواحل جنوبي أوروبا لاسيما شبه الجزيرة الايطالية وما يحيط بها من جزر[4]. وأكثر الولاة من الجنود الانكشارية في طرابلس بالذات لحمايتها من الأطماع الخارجية ولحفظ النظام والأمن وتزاوج أفراد هذه القوات العسكرية بالليّبيات فتكونت طائفة من المولدين تسمى(القولوغية) [5]في تلك الفترة[6].

يقول الطاهر الزّاوي عن التّنظيم الإداري القائم بين الولاّة العثمانيين في طرابلس ويعتقد" أنّه لا يعيّن وال في طرابلس أو يعزل إلا بواسطة الثّورة والقتل، وهي السّمة البارزة

---

[1]- أحميدة سالم حماد: **الروابط الإقتصادية المتبادلة بين السلطات القرمانلية والمجتمع الطرابلسي في أواخر العهد القرمانلي**, مجلة العلوم والدراسات الإنسانية, جامعة بنغازي، العدد 13، مايو 2016م، ص 3.

[2]- إسماعيل أحمد ياغي: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكة, ط 1 ،الرياض, 1997م, ص 143.

[3]- **لوبيا**: اسم لصحراء تفصل ديار مصر, وإيالة طرابلس, وهي تسمية قديمة لليبيا أو طرابلس الغرب, ينظر: محمد مصطفى بازامه: **ليبيا(هذا الاسم في جذوره التاريخية)**, مكتبة قورينا, ط 2, بيروت, 1975م, ص 14.

[4]- مصطفى عبد الله بعيوا: **دراسات في التاريخ اللّوبي**، **مطابع عابدين**،الإسكندرية، د س، ص 129.

[5]- **القولوغلية**: ويشكّلون في بعض المقاطعات(مصراته- طرابلس- زليطن) نسبة عالية من السّكان المحلّيين، وهم ينحدرون من الامتزاج بالانكشارية الوافدين من مناطق مختلفة من الامبراطورية العثمانية، ينظر: هنريكو دي أغسطين: **سكّان ليبيا**, تر وتق: خليفة محمد التلّيسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1995،ج 1، ص 43.

[6]- شوقي الجمل: **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر**, المكتب لتوزيع المطبوعات, د ط، القاهرة, 2007, ص 129.

في العهد الأوّل العثماني"، ويقرّ أيضا عن بدايات الحكم العثماني بليبيا بأنّه جاء لتخليصها من بطش فرسان القدّيس يوحنّا عام 1551م, الذين كانوا كشوكة في صرة الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط واحترفو البطش بأهالي مدينة طرابلس وممارسة القرصنة المسيحيّة على السّفن الإسلامية والموانئ الجنوبية للبحر المتوسط[1]. كما اقتصر النّفوذ العثماني على الشّواطئ والمدن الساحلية من البلاد، خلال الفترة الأولى من الحكم، على الرّغم من محاولاتهم الجادة لفرض نفوذهم على المناطق الداخلية، لذلك فإنّهم تركوا إدارة الأقاليم الداخلية إلى الأمراء والزعماء المحليين، كما أن العثمانيين لم يتدخلوا في الشّؤون العامّة للسكّان خلال هذه الفترة، وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية التي أثارها الأهالي وكذلك الجيش الإنكشاري[2].

ومن خلال رصد التطوّرات السياسيّة في طرابلس الغرب (ليبيا)، يتضح لنا بأنّ بداية العهد العثماني الأوّل قد تحقّقت فيه أعمالا لا نظيرا لها للأهالي بالرغم من بعض مظاهر الرفض الشعبي، وظل العثمانيون في ليبيا أسيادا لا منازع لهم[3].

رابعا: مراد آغا واليّا على طرابلس الغرب:

لقي تعيين مراد آغا كوالي على طرابلس الغرب من قبل الدولة العثمانية ترحيب من الأهالي، وقد تم اختيار نخبة من العسكريين من بين سكان الولاية المحليين لأجل مساندة الوالي الجديد في إحكام السيطرة على الولاية، فعمل الوالي مراد باشا على نقل مركز الولاية من تاجوراء إلى مدينة طرابلس، واتخذ من قلعتها مقرا دائما للحكم، كما حول الكنيسة التي أقامها منظمة فرسان القديس يوحنا إلى مسجد[4].حكم مراد آغا ولاية طرابلس الغرب،بعد أن أدى مراد واجبه بكل عدل وإخلاص وأحاط علما بأحوال الأهالي

(1) - فاتح رجب قدارة: **الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي**, المرجع السابق: ص ص 20- 21.

(2)-نبيل المظفري: المرجع السّابق، ص 27.

(3)- أمل عجيل: **قصّة وتاريخ الحضارات العربية(ق19- 20)**, موسوعة تاريخية جغرافية حظارية وأدبية, ليبيا- السودان- المغرب ، 1998- 1999م، ص 17.

(4)- نيقرو مسعودة: **جوانب من حركة الإصلاح العثماني في طرابلس الغرب 1835- 1911م، إداريّا- قضائيّا**، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، شهادة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017- 2018م، ص ص 17،18.

واشتياقهم وميلهم للخلافة العثمانية ، بعدها باشر الاتصال بمقام الخلافة من أجل احتلال طرابلس، حيث شيّد مؤسسات علمية نافعة، كالمدرسة التي بناها في تاجوراء[1]،ومنذ ضم طرابلس الغرب من قبل الأسطول العثماني تسلم مراد آغا الولاية وبدأ بصد أي هجوم مفاجئ من قبل الأعداء، كما تمكّن من السيطرة على مدينة مصراته[2] وزوارة[3] وجربة. وفي الدّاخل حتى سفوح الجبال وقد استردّت البلاد في أيامه كثيرا مما فقدته أيّام الإسبان وفرسان القدّيس يوحنا[4]،كما باشر العمل بتحصين المدينة ثم قام بإعداد قوّة من الأهالي إضافة إلى من معه من جنود، وبدأ يشنّ هجمات متفرّقة ضدّ الفرسان في نفس الوقت كان يعلم استانبول عن أوضاعه ويحثّها على ضرورة الإسراع بإرسال الأسطول، لأن الفرسان يسرفون في القتل والتشريد، والمساعدات الإسبانيّة مستمرة إليهم[5].وأولى كامل اهتمامه إلى تقوية البلاد من الناحية الدفاعيّة لصدّ أي هجوم مباغت يقوم به الأعداء وسرعان ما تحقق ما كان يخشاه، إذ حاول فرسان القدّيس يوحنّا النزول في بلدة أزوارة، ولكنّ مراد آغا تصدّى لهم بقواته التي استطاعت أن تنتصر عليهم ولكن هذا الانتصار لم يضع نهاية لهذه المحاولات[6] .

وعلى الرغم من قصر فترة حكم مراد آغا على مدينة طرابلس، فقد استطاع أن يسيطر على الموقف فيها وعلى المقاطعات القريبة منها، وقام بترميم الأسوار، وبناء أبراج جديدة وتحصينات متعددة، وزاد في تقوية وتحصين القلعة، كمركز ومقر إدارته، خشية أن

---

[1]– محمود ناجي: تاريخ طرابلس الغرب، ص149.

[2]–**مصراته:** هي أكبر المدن اللّيبية، وتقع إلى شرق من طرابلس بنحو 215 كلم وهي تتمتع بأهمية بالغة في تجارة والعمران والنشّاط الثقافي. ينظر: حسن الفقيه حسن: **اليوميات اللّيبية**، تح: محمد الأسطى وعمار جحيدر، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2001م، ص 244.

[3]– **زوّارة:** اسم مدينة من مدن طرابلس التي تقع بقرب الحدود الغربية ومازالت تحمل هذا الاسم و كانت تسمى (طوكين) وتقع غربي طرابلس بنحو 109كم, ينظر: الطاهر أحمد الزاّوي: **معجم البلدان اللّيبية**, المرجع السّابق, ص 175.

[4]– محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة: **النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711 – 1835م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية**، دار الكتب الوطنية، ط1،بنغازي، 1997م، ص 70.

[5]– محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 161.

[6]– عمر علي بن إسماعيل: **انهيار حكم الأسرة القرمانليّة في ليبيا 1795– 1835**, مكتبة الفرجاني, ط1,بيروت، 1966م، ص 26.

تتعرض المدينة لهجمات من فرسان القديس يوحنا. وفعلا فإن ما كان يخشاه مراد قد وقع[1]،فإنه على ما يبدو أن الفتح العثماني لم يضع حدا للمحاولات الصليبيّة ففي سنة 1552م حاول فرسان القدّيس يوحنّا السيطرة على أي موقع في الساحل الإفريقي في محاولة لنفاذ إلى طرابلس، إلاّ أنّ جميع محاولاتهم باءت بالفشل الذريع وتشير بعض المراجع أن الفرسان أقامو حملة على طرابلس غير أنّ جيش مراد باشا انقضّ عليهم فتشتتوا وتركوا كل ما نقموه وما استولوا عليه واضطر هؤلاء أن يلقو بأنفسهم في البحر[2]،إضافة إلى ذلك قام مراد آغا بتشجيع الناس على التجارة والصناعة والزراعة وتمكن من أن يخضع البلاد إلى الحكم التركي، وحاولت زوارة التخلص من نفوذه فغزاها في شعبان سنة 959هـ أغسطس سنة 1552م, وأخضعها لحكمه ولم يحدث في أيام مراد آغا غير هذا الحدث, وبقي واليا على طرابلس إلى ربيع الآخر سنة 960هـ مارس سنة 1553م حيث عزل وعين درغوث باشا واليا على طرابلس بدلا منه[3].يرى بعض المؤرّخون أن مراد آغا قد طلب الاستغاثة من الأستانة عدة مرات، وعندما شاهد أهل تاجوراء الأسطول العثماني الذي كان يقوده درغوث باشا والذي كان متجها إلى تونس بأمر من السلطان فتوجه مع بعض الأعيان في قوارب وصعدوا إلى السفن العثمانية وقاموا باطلاع درغوث على الموقف في طرابلس وطلبو منه المساعدة وإغاثتهم من الاحتلال[4]. وفي الوقت الذي كان فيه مراد آغا في تاجوراء، كان يراسل إستانبول ويطلعهم عن أخباره وفي الوقت نفسه كان يحث السلطان على إرسال الأسطول، وذلك لأن الفرسان كانوا يسرفون في القتل والتشريد كما أخبرهم أن المساعدات الإسبانية ما تزال مستمرة[5]بقي مراد آغا واليا على طرابلس إلى ربيع

---

(1)– علي مسعود البلوشي : **تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551– 1911م نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية**، الجماهيرية العربية الليبية، د ط، طرابلس، 2009م، ص 32.

(2)– محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة: المرجع السّابق، ص 70.

(3)– الطاهر أحمد الزّاوي: **ولاّة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، ص 154.

(4)– حليمة النحّاس وفايزة مزّاري: **ليبيا خلال العهد القرمانلي 1711– 1835م**، ص 18.

(5)– نفسه،ص 15.

الآخر سنة 960هـ/مارس سنة 1553م، حيث عزل وعين مكانه درغوث باشا وانتقل مراد آغا إلى تاجوراء، وكانت مدة ولايته سنة وسبعة أشهر[1]

[1] – الطاهر أحمد الزّاوي: **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، ص 155.

المبحث الثاني: شخصيّة درغوث

1-مولده ونشأته:

يطلق عليه الكتّاب الغربيون المعاصرون واللاحقون Dargut ولد حوالي سنة 1485م[1] لأب يدعى ولي بقرية تابعة لناحية دسراولوز من لواء منشتا [2] في أسرة فقيرة في إحدى قرى الأناضول، وقد استطاع أن يبني مجده بيده[3]وكان طبعه عنيف وعصاميا صنع حظه وسمعته اشتغل في البداية بحارا تحت التدريب[4]، يقول مارمول كاربخال: " أنّ أصل درغوث ينظر الملحق رقم 3 من حصن صغير بآسيا يقع قبالة جزيرة رودس من الإقليم الذي يسميه الأتراك اليوم مانطيشا، كان أهله أتراكا من أتباع محمد،دخل في خدمة خير الدين باربروس منذ طفولته،واعتاد على ركوب البحار عدة سنين حتى صار من أعظم رؤساء السفن في بحر المشرق، واكتسب خبرة في معرفة الجزر والمرامي والفرضات الموجودة في البحر المتوسط"[5] .

إلاّ أنّ جون وولف يقول في كتابه أن درغوث أصوله يونانيا، وهو أمر قد يكون حقيقة[6]. وكان درغوث شجاعا وقوى البنية ومغرما بالمصارعة ويرمي النبال، وقد التحق منذ صغره بأسرة الأتراك المغامرين والباحثين عن الصيت والبطولة، بإحدى سفن القراصنة، اشتغل درغوث صبيا مساعدا ومرشدا[7]. وقد ظهرت عليه ملامح النجابة والذكاء الخارق، وقد ذهب إلى مصر مع والده ليتعلم فيها الحياة العسكرية أيام حكم المماليك لمصر، فنبغ في فن الرماية والمدفعية [8]، ولما بلغ سن العشرين سنة في سنة 910هـ من عمره أصبح بحارا ذا خبرة وتجارب ويظهر من هذا التاريخ وزاول الملاحة والقرصنة قبل الأخوين أوروج

---

[1]- مصطفى خوجة: **تاريخ فزان**، تح: حبيب وداعة الحسناوي، د ط، م م ج ل د ت، 1979م، ص 41.

[2]- عزيز سامح الترّ: المرجع السابق، ص 25.

[3]- مصطفى خوجة: المرجع السابق، ص 41.

[4]- عبد المنعم الجميعي: الدولة العثمانية والمغرب العربي، ص 28.

[5]- مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجّي وآخرون، دار نشر المعرفة، د ط، الربّاط،1988/ 1989، ج 3، ص 71.

[6]- جون ب وولف: **الجزائر وأروبا 1500– 1830**تر وتع: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، د ط،الجزائر، 2009م، ص ص 64، 65.

[7]- عزيز سامح إلترّ: المرجع السّابق، ص 25.

[8]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة: المرجع السابق، ص ص 63، 64.

وخضر, عمل درغوث مساعدا للربان خضر ويقال أنّ درغوث تزوّج من بنت سرايلات صالح أحد الأتراك مودون المقيم في جربة[1]، فتكونت في زمانه نواة الأسطول الليبي واشتهرت طرابلس بصناعة السفن[2].واشتهر في أعماله كلّها، فتقرّر أن يوضع تحت تصرّفه مركب غليونة ليتولّى قيادته وقد أظهر تفوقا ومقدرة خلال الصراع الرهيب الذي كان يدور في شرق البحر الأبيض المتوسط،ـ وقد ارتفع بشجاعته النادرة إلى مصاف الأبطال، ومكنته شجاعته وخبرته من التعرف على خير الدين بربروس قبل موته فضمه إليه وعينه نائبا له[3]، كما قام بالقرصنة في البحار الشرقية من البحر الأبيض المتوسط باعثا الرعب في سفن البندقية وارتفع بشجاعته إلى مراتب القواد النادرين وهكذا أصبح درغوث الساعد الأيمن لخير الدين بربروس[4].

2-ولاية درغوث باشا على طرابلس الغرب:

كان سنان باشا[5] قد حكم طرابلس، ولكنه قرر بعد ذلك ترك حكم طرابلس لمراد آغا فوجد درغوث نفسه مستبعدا من موقع كان يعتقد أنه أحق به، وذلك نظرا للعلاقات المتوترة بينه وبين سنان باشا، كما كانت نجاحات درغوث تقلق الوزير الأكبر رستم باشا (1500-1561)؛ شقيق سنان. فقد واصل درغوث نشاطه كقرصان[6]ضد الإسبان في البحر المتوسط، وذلك قبل توليه طرابلس الغرب. وكان يسعى إلى تخليص المسلمين الأندلسيين من الإسبان[7]؛ بسبب ما رآه من استخفاف، حيث قام بسلسلة من العمليات

---

[1]- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص25.

[2] - توللي ريتشارد: المصدر السابق، ص 32.

[3]-مصطفى خوجة: تاريخ فزان، تح: المرجع السابق، ص 41.

[4]- عمر محمد الباروني: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، ص 118.

[5]**- سنان باشا: senan**: ولد بألبانيا سنة 1520م جيء به إلى استانبول ونشأ فيها, تولى ولاية أكثر من إيالة, ينظر: زيّارة سامية: **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية**، المرجع السابق، ص 58.

[6] - جان كلود زليتنر: **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500- 1795إفرنجي**، ص 181، 182.

[7] - فاضل بيات: **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني _ أواسط القرن التاسع عشر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2007م، ص 559.

لحسابه وأحيانا لملك فرنسا، كما استولى على الكثير من الجزر في البندقية وصقلية، واستطاع في سنة 1552 أن يتوغل بغاراته البحرية حتى سواحل كالابريا[1]. وفي هذا العام هاجم واستولى على سبعة مراكب تابعة لأندريا دوريا، و قام بنقل غنائم إلى طرابلس، وتوجه بعدها إلى القسطنطينية ليقدم تقريرا إلى السلطان سليمان، وقد نبه درغوث السلطان إلى شيخوخة مراد آغا وتقدمه في السن فتمكن درغوث بفضل هذه المبررات إقناع السلطان بهذه المبررات فعينه واليا وباشا على طرابلس[2] . وبعد أن تسلم درغوث باشا البلد كاتبوا السلطان بذلك فسر به سرورا عظيما وكتب له بولاية البلد وبايعه أهل جربة ولم يزل درغوث باشا واليا بها ومراد آغا محبوسا مكفوفا اليد عن التصرف إلى سنة سبع وستين وتسعمائة فتوفي مراد وخلفه درغوث[3].وقد تسلم درغوث باشا الإيالة في مارس 1553م وكانت لديه سلطة مطلقة في حكم هذه الإيالة مع تبعية للسلطان، والتي تمثلت في دفع الضرائب السنوية وتزويده بالرجال والسلاح والمؤن والسفن أثناء الحروب وكان السلطان يختار من استانبول لطرابلس بك يتولى القيادة العامة للجيش، وآغا برتبة عقيد لقيادة الإنكشارية وقاضيا ومفتيا وظلت هذه العادة قائمة حتى سنة 1595م[4].ويقول النائب الأنصاري أنّ درغوث باشا تمّ تعيينه حاكما على طرابلس سنة 964هـ ومعه مقدار من اليكيجيرية وتولى زمام الأمور في البلاد[5].أي مايوافق 1556م.كما يقول الأب برنيا أن درغوث باشا دخل طرابلس دخول الفاتحين، وقد استقبل بكل مظاهر الإكرام والتبجيل كسلفه كانت لديه سلطة مطلقة على الولاية وكان يحكم بكل صرامة وحزم[6].بعد ماكان

---

(1) -جان كلود زليتنر: المرجع السابق، ص 181 182.

(2)- كوستانزيو برنيا: المرجع السابق، ص 67.

(3)– أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: **تاريخ طرابلس المسمى االتذكار فيما ملك طرابلس وماكان بها من أخبار**، تع وتص: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص 94.

(4)– فتحي حسن نصار: المرجع السابق، ص 43.

(5)– أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، د ط، منشورات مكتبة الفرجاني، ص 209.

(6)– كوستانزيو برنيا: المرجع السابق، ص 69.

قرصان عاديا وسرعان ماأصبح واحدا من ألمع أمراء البحر الأتراك إذ اشتهر ببسالته وتضلعه في الشؤون البحرية[1].

3- وقوعه في الأسر:

وقع درغوث في أسر النّصارى،في سنة 946هـوخلاصه في سنة 949هـفي حين تقول روايات أخرى أنه تمّ أسره في سنة 947هـوخلاصه في سنة 950هـ،وبينما كان درغوث يشحم السفينة في إحدى المرات حتى باغته الربان جانتينو دوريا الإبن، وبعد أن أسره سجنه في جنوة[2] وكان دوريا لم يبلغ الرّابعة والعشرين من عمره واستصغر درغوث هذا القائد، فلاحظ دوريا هذا الاستخفاف من درغوث فأمر بضربه بالسياط فضرب ضربا مبرحا وأهينت كرامته وربط بالسواري. وكانت رجليه مكبلتين بالحديد[3]،كما بقي درغوث في الأسر أربع سنوات لاقى خلالها الكثير من أصناف التعذيب[4]. ويقول جاد كلود زليتنر في كتابه أنّ درغوث من تلاميذة خير الدين بربروسا وكان درغوث مكبلا بالسلاسل على قوادس جنوا, كان سجينا مهمّشا ومن ثمّ فمن غير المحتمل أن يكون قد أرسل إلى البحر خاصّة أثناء الحملة على الجزائر لأن مصيرهم غير مأمون لدرجة لا تسمح باتخاذ أي مخاطر, وإنه لم يبقى طويلا في الأسر.ويقال أنه عرف كيف يثير اهتمام الأميرة دوريا بمصيره" فأخرجته من السجن وبعث به إلى أمير ميسينيا"وبقي هناك سجينا[5]. فذهب بعدها خير الدين بأسطول لمقابلة الجنويين وهددهم بإحراق كافة سواحلهم[6]وخاطبهم قائلا: "إذ لم تسلموني درغوث سأحرق جميع قراكم وأنقذه من الأسر واحتفظ به في ديوانه قائلا: إنه بطل شجاع في أصله حتى أهدى له سفينته الاحتياطيّة" [7]وتم له تخليصه إلا أن هذه

---

(1)- غاسبري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تع: علي الصّادق حسين،د ط، د ب، 1973 ص 157.

(2) - عزيز سامح إلتر: المرجع السابق، ص 27.

(3)- عمر محمد الباروني: الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، ص 120.

(5)-مصطفى خوجة: المرجع السّابق، ص 42.

(5)- جاد كلود زليتنر: المرجع السّابق, ص 151.

(6)-عزيز سامح إلتر: المرجع السّابق، ص 27.

(7)- حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح وتر: محمد حرب سنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ط 1، د م، 1438هـ - 2017م، ص 132.

الرواية مشكوك فيها فيمن أسره وأين قضى مدة أسره والذي أسر درغوث أندريا دوريا أو إبن أخيه جانتينو، ولكن أغلب الروايات تؤكّد أن خير الدّين باشا هو السبب في خلاص درغوث من الأسر[1].

إلاّ أنّ الأستاذ الباروني يقول: كانت حكومة الأستانة تلح على شارل الخامس في إطلاق سراح درغوث، فجاء الأسطول التركي في مئة سفينة أمام ساحل ليفورنيا الإيطالية ليجبر حكومة جنوة على تسليم درغوث فلم يكن أمام حكومة جنوة إلاّ أن تطلق سراح درغوث خوفا من إستفحال الأمر ونقمة العثمانيين هكذا رجع أمير البحر إلى سفنه وأسطوله فلم يزده الأسر إلاّ تقدّما وإصرارا على المضيّ في عمله دون خوف[2].

4_ تولّيه الحكم:

كان درغوث يتمنى أن يكون واليا على طرابلس, وقد سعى لدى السلطان سليمان (1520-1566)، ونجحت مساعيه، وعزل مراد آغا وعين بدله واليا على طرابلس في ربيع الأخير سنة 960هـ/ مارس سنة 1553م، وفرح العرب والترك بمقدمة وتعيينه واليا على طرابلس[3] لما يعلمونه عنه من المقدرة والكفاية، وتسلم من مراد آغا مهام الحكم وشؤون البلاد، لأن المدينة بحاجة إلى إصلاح ما بقي من فساد الإسبان وفرسان القدّيس في السور والأبراج[4]. وكان إخضاع إقليم طرابلس الغرب على يد درغوث رايس الذي عيّنه السلطان العثماني سليمان القانوني كحاكم على هذا الإقليم بعد مراد آغا، وكان درغوث رايس أحد الرجال الذين تتلمذوا على يد خير الدين بربروسا باشا، فبذلك قضى على أحلام وطموحات الإمبراطور الاسباني شارل الخامس الذي تحطمت أحلامه عندما هزم في حملته على الجزائر عام 1541م[5].

---

(1)- عزيز سامح إلتر: المرجع السابق، ص 27.

(2)- عمر محمد الباروني: **الإسبان وفرسان القدّيس يوحنا في طرابلس**، ص 120.

(3)- الطاهرأحمد الزاوي: ولاة طرابلس, ص 156.

(4)- نفسه، ص 156.

(5)- لخضر بوطبّة: **سليمان باشا الباروني وموقفه من الدولة العثمانية في آخر عهدها**، موقع جامعة محمد أمين دباغين، سطيف، الجزائر، ص 2.

وكان درغوث باشا في طليعة الفرسان البارزين من حيث الشهرة في منطقة المغرب الإسلامي، والذي خلف خير الدين في قيادة الأسطول والعمليات العسكرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. و كان له سجلا حافلا بالنجاحات البحرية والبرية, تحت قيادة سلفه خير الدين باشا، حتى لقبه بعض أتباعه "بسيف الاسلام"[1].

ويعتبر درغوث أو طرغود من أبزر قواد الأتراك العثمانيين الذين ولاهم السلطان سليمان الأول على طرابلس بعد مراد آغا, وتمكن درغوث من أن يفتك طرابلس من يد النصارى[2] ، ثم قام بمحاصرة طرابلس بضعة أشهر إلى أن تمكّن من الاستيلاء عليها سنة 1551 وكافأته الدولة العثمانية بتوليته النيابة, وسمح له هذا المنصب أن يلعب دورا هاما في المجال العسكري والسياسي، وكان مطلعا على أوضاع ليبيا وعلى أهميتها الاستراتيجية في المتوسط. وهكذا أخذ السلطان قرار لفتح طرابلس ونزلت القوات العثمانية بتاجوراء وطلبت من فرسان القديس يوحنا الاستسلام، حيث فرض حصار عليها بما اضطرهم للاستسلام في أوت1551 وأصبحت ولاية عثمانية[3] وعين درغوث باشا حاكما على ليبيا[4]، وتمكّن حينها من توطيد الحكم العثماني فيها، إذ أنه أخضع المناطق الداخلية، وفي 1560 شن حملة على جربة[5] لطرد الإسبان وهزم وظل يحرز الانتصارات[7] .

فعندما كان مراد آغا[6] يشنّ غاراته المتكررة على طرابلس الغرب.و كان درغوث ريس يهاجم جزيرة كورسيكا، فأرسل إليه خير الدين باشا في عام 1540 ليكلفه بمهمة

---

(1)– ناصر الهادي الحضيري : المرجع السابق، ص 10.

(2)– عبد الهادي التّازي: المرجع السابق، ص 140.

(3)– شريفة أمين قاضي: **الاحتلال الإيطالي والمقاومة الليبية (1911– 1951)**، شهادة ماستر تخصص تاريخ معاصر،جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014– 2015، ص 19.

(4)– **ليبيا**: قسم من أقسام قارة إفريقيا الشمالية، يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب الحدود التونسية التي تقع في مكان يقال الغدير, يقع غربي قصر بوكماش بنحو 11كم، ينظر: الطاهر الزّاوي: المرجع السّابق، ص 296.

(5)– **جربة**: جزيرة صغيرة تقع في خليج قابس شرقي تونس، ينظر: جميل بيضون وشحّادة الناضور: **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل، ط 1، الأردن، 2010، ص 74.

(6)– **آغا**: مصطلح فارسي ويعني السيد, إعتمده الأتراك لدلالات متعددة وخاصة في المجال العسكري، ينظر: محمود عامر: **المصطلحات المتداولة في الدّولة العثمانية**, مجلّة دراسات تاريخية, العددان 117– 118، كانون الثاني، حزيران لعام 2016م، ص 361.

تدمير أسطول منظمة فرسان القدّيس يوحنا في مالطا، لكنه وقع في الأسر إثر كمين دبره له أندريا دوريا بالاشتراك مع فرسان القدّيس يوحنّا في 15 حزيران من العام ذاته. ومع ذلك تابع مراد آغا جهوده في مواجهة الفرسان[1]،بمجرد تحرير درغوث أصبح كابوسا لإسبانيا والإمبراطورية، فكان يظهر دون توقّع على سواحل ايطاليا وإسبانيا، وعلى السّواحل الشمالية الإفريقية، ولكن هدفه الرئيسي يتمثّل في القضاء على قوّة رهبانية مالطا وطرد فرسان مالطا من طرابلس فوجب عليه الاعتماد على مراد آغا في تاجوراء لتحقيق هذا الهدف[2]، وقد قام درغوث ريس بنقل حوالي 1500 موريسكي أندلسي[3].

وهكذا بدأ القائد درغوث رايس، الذي أصبح بعد وفاة مراد آغا سنة 1555باشا ونائب السلطان في إيالة طرابلس الغرب بتوسيع حدود الممتلكات العثمانية في عهدته فوق بلاد المغرب، وبتوجيه ضرباته الأساسية ضد جنوب ووسط تونس ، وكان عمره حوالي 80سنة ، غير أنه كان وافرا النشاط، لأنه مختصا في إجراء المعارك البحرية، فلم يأت من استانبول بمخططات الأراضي الجديدة فقط، بل بالأسطول والأعداد الكبيرة من المقاتلين[4]،حيث وصل إلى طرابلس عام 1551أسطول عثماني بقيادة أمير البحر درغوث؛ فحرر المدينة وأصبح حاكمها الأوّل. أما مراد فقد بقي حاكما على المناطق الداخلية حتى وفاته عام 1561وتدخل أيضا في القضاء على النفوذ الاسباني والعائلة الحفصية في تونس، فتمكّن من احتلال قفصة عام 1556 والقيروان عام 1558 وجربة عام 1560 [5]،كما شهد عهد درغوث باشا مرحلة من الضعف والتقهقر؛ بسبب عدم تحمل الحكام

---

(1)- رابحة محمد خضير: **دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني(1555م)**, مجلّة الأبحاث, المجلد 6, العدد 2, 2007م,ص 114.

(2)- جان كلود زليتنر: المرجع السابق: ص 154.

(3)- حنيفي هلايلي: **القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية (1492– 1614)**، العدد 6، ص 17.

(4)- نيكولاي إيليتش بروشين: **تاريخ ليبيا (من منتصف القرن 16حتى القرن 20)**، تر وتق: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتّحدة, ط 2، لبنان، 2001،ص 28.

(5)- عبد الكريم محمود غرايب: **مقدّمة تاريخ العرب الحديث(1500– 1918)**, مطبعة جامعة دمشق, 1960, ج 1, ص ص 36- 37.

لمسؤولياتهم، فمال الجند إلى اللهو وجمع الثروة وتركت طرابلس فترة بدون حاكم إلى أن شكا السكان للسلطان فكلف يحي باشا[1]بحكم الولاية، لكنه توفيّ عام1565[2].

شهدت ولاية درغوث باشا الذي أعقب مراد باشا بعد اعتزاله الحكم عام 1556 تطورات هامة على صعيد بسط السلطة العثمانية على معظم المناطق في طرابلس. وفي هذا المنوال حاول درغوث مد سيطرته على المناطق، لكن هذا الأمر لم يكن سهلا بسبب مقاومة السكان المحليين الرافضين لحكمه ودفع الضرائب[3]. وفي عام 1511 احتلت البلاد الطرابلسية جيوش اسبانيا وبقيت بها حتى أخرجهم منها القائد الشجاع درغوث باشا البطل العثماني المشهور، وذلك بأمر من السلطان سليمان بن سليم.

وبناءا على استغاثة أهل طرابلس الغرب (ليبيا) سنة 1551، فمن وقتها أصبحت طرابلس وبرقة ولاية عثمانية، حتى جاءها الرجل المصلح أحمد القرمانلي[4]، فأعلن استقلالهما[5] .وعمل درغوث باشا طيلة فترة حكمه تثبيت الحكم العثماني وتخليص السواحل الليبية من التحرشات الأسبانية ، لكن نفوذ العثمانيين في الحقيقة لم يتعد السّواحل ولم يتغلغل العثمانيون في الحياة العامة للسكان، بل تركوا إدارة الأقاليم الداخلية للحكام المحليين[6]. وكان درغوث قائدا بحريا عظيما، فاتخذ طرابلس قاعدة كبرى لعمليّاته التي كثرت بها الغنائم والأسرى الأوربيون، وبذلك أعاد إلى الأذهان سيرة خير الدين بربروسا في السّاحل الجزائري واتّخاذ الجزائر وغيرها من مدن هذا السّاحل.

---

[1]– **يحيى باشا:** عينه السلطان سليمان واليا على طرابلس بعد موت طورغود وأسند إليه رئاسة الأسطول وقيادة الجند, توفي سنة 973هـ ودفن بقصر قراقش(قرقارش), ينظر: الطاهر الزّاوي: المرجع السّابق, ص 159.

[2]– مسعودة موسودة ونسيمة العوبي: **طرابلس الغرب في عهد الوالي يوسف باشا القرمانلي(1795– 1832م/ 1210 – 1247هـ)**، شهادة ماستر، تخصص: تاريخ العالم المعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017، ص 16.

[3]– جمال هاشم أحمد الذويب: **تثبيت الحكم العثماني في طرابلس الغرب**، المصدر: المؤتمر الدولي الأول حول الدراسات العربية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بروناي، جانفي 2011، ص 365.

[4]– **أحمد القرمانلي:** هو الباشا أحمد بن يوسف بن محمد القرمانلي نسبة إلى موطن أجداده قرمان بالأناضول، نشأ بطرابلس وتولّى وظيفة آغا فرسان منطقة الساحل، تولّى حكم طرابلس الغرب بتأييد من الديوان ومساندة الأهالي، ينظر:ج أو هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني: ج– أو– هابنسترايت**، ص 126.

[5]– محمد إبراهيم لطفي المصري: **تاريخ حرب طرابلس**, ص 15.

[6]– شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 131.

وبالمثل أنزل بهم درغوث الفزع والخوف بسفنه البحرية وجنوده من الأتراك والطرابلسيون المغاوير، مما يدلّ على كثرتهم في أيّامه بسبب حملاته وجهاده في سبيل الإسلام وحماية ديار أبناء المغاربة وأنشأ بطرابلس جامعا عظيما ضمّ رفاته[1] حين توفي سنة 970هـ/ 1562م . وتولىّ بعده الحكم علج علي[2] ساعده الأيمن ثم جعفر باشا[3]،وكان طرغوث باشا من بين اهتماماته الكبرى الأسطول الطرابلسي في البحر الأبيض، وصار يغزو أوروبا ويأتي بالغنائم الكثيرة[4].وفي عهده تحولت مدينة طرابلس إلى ملجأ آمن لكل القراصنة الذين يستظلّون بالعلم العثماني، وظلّو يتّخذونها منطلقا للهجوم على شواطئ المتوسط في الاتجاه المضاد. وقد وضع درغوث مناعة للمدينة وبني فيها حصنين قرب البحر[5]،وفي سنة 971هـ اتفقت حكومات(اسبانيا- مالطة-الجنويز) على مهاجمة إفريقية وضبطها وإزالة الإسلام منها وأوقع ملك اسبانيا ببلاد الجزائر وأخذ منها بعض القلاع والمراكب، فغضب السلطان سليمان من ذلك وأرسل الوزير الثاني إسفندريار أوغلوا(مصطفى باشا) ومعه القبودان(بيالي باشا) فقدمو "مالطة" ولحق بهم طرغود باشا فخرجت العساكر إلى البر وأخذو في عمل خنادق أمام القلعة وأقامو عليها حصار شديدا إلى أن أثخنو بها وأخذوا أسرى كثيرين[6].

لقد بذل الأسطول العثماني مجهودا كبيرا في افتكاك طرابلس الغرب من أيدي فرسان القدّيس يوحنّا، وذلك من خلال أهم الحكام العثمانيين من بينهم سنان باشا ومراد آغا ودرغوث باشا. وهكذا استطاع كل من مراد آغا ودرغوث باشا القضاء على فرسان مالطا الذّين جمعوا فلولهم وعادو إلى موطنهم، وبذلك استطاعوا تحرير طرابلس وبذلو ما بوسعهم

---

(1)- عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص 39.

(2)- يذكر بعض المؤرخين الأوربيون أن قلج علي باشا أسر من قبل الجزائريون أثناء قيادته لسفينة عائدة كانت متجهة إلى نابولي, أمّا السجلات العثمانية فتذكر أنه كان يعمل خادما عند طرغوت باشا.ينظر: عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص 224.

(3)-نفسه، ص 39.

(4)- الطاهر أحمد الزّاوي: ولاّة طرابلس، المرجع السّابق, ص 157.

(5)- بيتشي هنري، بيتشي فريديريك: **الأخوان بيتشي والسّاحل الليبي(1821- 1822)**, تر: الهادي مصطفى أبو لقمة، دار الكتب الوطنية, , ط 1, بنغازي, 1996م, ص 37.

(6)- النّائب الأنصاري: المصدر السّابق، ص 210.

بجعلها أهم مناطق نفوذ تابعة للإيالة العثمانية، حيث ظلّ مراد آغا حاكما في تاجوراء ودرغوث باشا حاكما على طرابلس الغرب والذي بفضله استطاع القضاء على فرسان القدّيس يوحنّا. ونظرا لتفوّق وحنكة درغوث باشا استنجد به أهالي تونس في القضاء على الإسبان، وهكذا استطاع العثمانيين ضم طرابلس الغرب للإيالة العثمانية.

الفصـــل الثالث:

جهوده في تحرير سواحل طرابلس الغرب

المبحث الأول: إنجازاته في طرابلس الغرب

المبحث الثاني: معركة جربة

المبحث الثالث: حصار جزيرة مالطا واستشهاد درغوث

بفضل مجيء الأتراك العثمانيين إلى إفريقيا تمكنو من القضاء على العدو الأجنبي في البلاد ومن بين أهم الولاة العثمانيين الذين كان لهم دور في تخليص طرابلس الغرب من أيدي فرسان قديس يوحنا، نذكر درغوث ريس الذي كان له دور بارز في القضاء على الفرسان. كما اهتم بتنظيم البلاد وحاول أيضا القضاء على الاحتلال الإسباني في جربة وكان له دور فعّال مع الأسطول العثماني في حصاره ضد مالطا حيث أبلى بلاء حسنا في هذه الحملات.

المبحث الأول: إنجازاته في طرابلس الغرب

1- إصلاحات درغوث في طرابلس الغرب:

نجح درغوث في القضاء على ما تبقى من فرسان القديس يوحنا في طرابلس، ومد النفوذ العثماني إلى معظم السواحل الليبية، ونتيجة لذلك شهدت طرابلس انتعاشا بعودة السيادة الإسلامية إليها فقد عاد إليها سكانها الذين كانوا قد هجروها ونزحو منها إلى الضواحي الأخرى أثناء الاحتلال الإسبان وفرسان القديس يوحنا وعادت إليها الحياة نتيجة ازدهار الحركة العسكرية بها، وانتقال بعض الجنود المشارقة إليها ضمن القوات العثمانية[1].

وبعد أن تولى درغوث باشا حكم الولاية (1556-1565) ازدهرت شهرة ميناء طرابلس، حيث أصبحت سفن طرابلس تثير الرعب في وسط البحر المتوسط، يودعون سكانه بالدعاء القائل"**حفظكم الله من سفن طرابلس**"؛ وذلك نتيجة لاهتمام درغوث بتقوية الأسطول البحري[2].

تسلم درغوث الحكم في طرابلس التي مازالت في حاجة إلى إصلاح ما أفسده الإسبانيون وفرسان القديس يوحنا، من أسوارها وأبراجها، كما ساعد على إيجاد اليد العاملة التي قلت بسبب الحروب الطويلة، وإسعاف السكان بما ينعش حياتهم ويرفه عنهم شظف العيش[3]،ومن بين الإصلاحات التي قام بها درغوث توليه زمام الأمر في طرابلس فعمر البلاد ووضع الاستحكامات **ينظر الملحق رقم 1** وجعل الثغر في غاية المتانة والقوة، وبسط العدل وأمن البلاد وتشبّث

---

[1] – عبد المنعم الجميعي: المرجع السابق، ص 30.

[2]– حسين مسعود أبو مدينة: **جغرافية ميناء طرابلس الغرب**، ط1، دار ومكتبة الشعب، ليبيا، 2005، ص 91.

[3]– الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ص ص 307 308.

بالأسفار في أساطيله وبث السرايا على الأعداء والرجوع بأموال الغنائم فيسدد بها معاشات الجند وتعييناتهم ومصاريف الأسطول ونحو[1].وكان عهده عهد إنشاء وعمران وشيّد القلاع وشجع الفلاحة في البساتين ونشط التجارة فتدفقت الأموال إلى جيوب الناس ولا يزال الطرابلسيون يذكرونه بالخير[2].كما عمل درغوث على توسيع حدود ممتلكات التركية الداخلة في عهدته فوق الشمال الإفريقي، حيث امتد نفوذه جنوبا حتى غريان وشرقا حتى مصراته وغربا فوق جزء من أراضي تونس الجنوبية والوسطى. ومن غير أن يضيع الوقت أخذ درغوث يشن حروبه في البر والبحر في وقت واحد وفي 20من ديسمبر 1556م دخل قفصة ظافر واحتل في نفس العام جزيرة جربة التي كانت تحت حماية فرسان مالطا، وفي سنة 1558م دخلت جيوش درغوث القيروان[3].

كما سار درغوث في سياسة أسلافه في تشجيعه للانتعاش الاقتصادي والثقافي والمعماري لمدينة طرابلس والمقاطعات الأخرى، وأجبر درغوث القبائل العربية بالدواخل على الاعتراف بالسلطة العثمانية، وكانت شخصية وشجاعة ومهارة درغوث الإدارية أكبر أثر في السيطرة على الإنكشارية، كما أصبح اسمه مقترنا بالنشاطات البحرية التركية في وسط الحوض البحر المتوسط[4].

وشجع درغوث باشا الزراعة وإحياء الصناعة وامتد نفوذه إلى الحدود المصرية، واهتم درغوث بالإصلاح مرافق البلاد وفي مقدمتها الأسطول والجيش، حتى أصبح المقام الأول من اهتمامه للأسطول الطرابلسي في البحر الأبيض المتوسط[5]، كما أنشأ دار للبارود[6] وماتزال آثارها قائمة حتى الآن في الزاوية الواقعة بين سوق المشير وميدان الشهداء[7] وكان من جراء تراكم

---

[1]- أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، د ط، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا.

[2]- راسم رشدي: **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**، ص 92.

[3]- نيكولاي إيليتش بروشين: المرجع السابق، ص ص 28 29.

[4]- علي مسعود البلوشي: **تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1555-1911 نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية**، د ط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2006م، ص 34.

[5]- الطاهر أحمد الزاوي: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية الحكم التركي، ص ص 156- 157.

[6]- **دار البارود**: كانت بلصق جامع أحمد باشا من الناحية الجنوبية وقد أزيلت في العهد الإيطالي وأنشئت في مكانها سوق وطنية، تعرض فيها المصنوعات الوطنية الجميلة من الجلود المطرزة والفضة ذات النقوش الجميلة وإذا ملئ بالماء أعطى منظرا جميلا، ينظر: سهيل صابان: المرجع السابق, ص 128.

[7]- خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص 78.

الأموال التي كان يتحصل عليها من النشاطات البحرية، والفدية التي يتحصل عليها من الأسرى المسيحيين، أن مكنت هذا الوالي من تشييد الكثير من المساكن لتمكين العائلات الفارة من الاضطهاد الإسباني وفرسان القديس يوحنا، من العودة والاستقرار ثانية في طرابلس، كما شيد قصرا لنفسه في نحو 1561م وبنى درغوث جامعا (**ينظر الملحق رقم2**) وضريحا ملاصقا للجامع[1].

كما اشتغل درغوث بغزو أرض الروم وعمارة السواني[2]وجلب الناس من أطراف البلاد لعمارة المدينة فعمرت[3]. وبنى لنفسه قصرا كبيرا مؤلفا من دورين تزينه الشرفات والأروقة وتحيط به حدائق جميلة، فرغم ظروف التي كانت تواجه درغوث وتوزع جهوده بين إخماد الفتن والثورات الداخلية ومواجهة التحديات المسيحية الخارجية فقد استطاع أن يعمل على تجميل المدينة وتطويرها مستعينا في ذلك بعدد كبير من الأسرى المسيحين الذين أسرهم في حملاته حتى أنه يرجع إليه الفضل في شكل المدينة هو ومراد آغا[4]. وقضى درغوث أيضا على اللصوص وكذلك فرض رقابة شديدة على الإنكشارية.

وفي سنة 1560م، شن حملة على جربة لطرد الإسبان وهزمهم وظل يحرز الانتصارات كبيرة كما قام بتشييد نصب تذكاري من جماجم الأعداء وعظامهم[5]، بعد أن استكمل درغوث تنظيم المدينة، توجهت أنظاره إلى الاهتمام بالدواخل طرابلس، وكان أول ما اهتم به السعي لتلقين سكان غريان درسا قاسيا لإقدامهم على تطاول وإهانة أحد مبعوثيه. وخرج عليهم في قوم من

---

[1]- علي مسعود البلوشي: المرجع السابق، ص 34.

[2]- **السواني**: السواني جمع سانية والسانية في اللغة هي الحيوان الذي يستعمل في إخراج الماء من الآبار تسقي البساتين، وقد أطلق الطرابلسيون كلمة سانية على نفس البستان الذي تسقيه السانية لليابسة التي بينهما، ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص 195.

[3]- أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: **تاريخ طرابلس المسمى التذكار فيما ملك طرابلس وماكان بها من أخبار**، ص 98.

[4]- خليفة محمد التليسي: المرجع السابق، ص 78.

[5]- مسعودة موسود ونسيمة العويبي: **طرابلس الغرب في عهد الوالي يوسف باشا القرمانلي 1795- 1832/ 1210- 1247هـ**، ص 16.

الإنكشارية وترك لديهم ذكرى تزيل من نفوسهم الرغبة في تطاول والجرأة عليه في المستقبل وفرض عليهم آداء الخراج ثم توجه إلى ترهونة ناشرا الرعب في المقاطعات التي يصل إليها[1].

انفرد درغوث بحكم الولاية حكما مركزيا، فحجب الثقة عن قائد الجيش وآغا الإنكشارية وحملها مسؤولية الاضطراب ونشر الفساد والإخلال بالأمن، وعهد للقاضي مسؤولية إنصاف المظلومين وطلب إليه إعلامه بأبسط المخالفات وأسند للأهالي بعض المناصب الإدارية البسيطة، كما سخر درغوث لتحسين أوضاع الولاية ولاسيما عند تعرضها للكوارث الطبيعية ففي سنة 1557م تعرضت الولاية لمرض الطاعون الذي أودى بحياة الكثيرين فسارع درغوث للإقامة محاجر صحية ومد المنكوبين بالمال والغذاء، وطلب من الجزائر إمداده المساعدات[2].وقد كان إلى جانب أعمال درغوث داخل البلاد العربية طرابلس وتونس كان له نشاط واسع في الدول الأوربية أيضا.

كما توجه درغوث في سنة 1558م لنهب مدينة ريجيو القّلورية الواقعة على مضيق مسّينا ورجع منها إلى طرابلس بعدد هائل من الأسرى[3].ومنح القرصان الذي أصبح والي ولاية طرابلس كل التسهيلات للتجار المسيحيين لمزاولة نشاطهم. وهكذا نشطت لحد الإبهار هذه التجارة[4].

كما افتك درغوث باشا مدينة طرابلس من الإسبان وهو في جربة، وكان معه مراد باشا قادما من مسلاتة. وكانت مقولته الشهيرة" جاء الترك بس" ثم بقي فيها مدة طويلة؛ السبب في أخذها من العدو هو أنّ مراكب المسلمين جاءت من إستنبول متجهتا للعمارة المحاصرة لحلق الوادي من تونس فمرت بسواحل طرابلس فكلمهم أهل السواحل في إعانتهم على النصارى[5].فقام درغوث في القضاء على النصارى.

---

[1]- كوستانزيو برنيا: **طرابلس من 1510– 1850**، ص 50.

[2]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث المغرب الأقصى ليبية**، ص 171.

[3]- شارل فيرو: المرجع السابق، ص 113.

[4]- جاد كلود زليتنر: **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا**، ص 223

[5]- سعد زغلول وآخرون: **رحلة ماء الموائد للعياشي(ليبيا– طرابلس– برقة)**، المعارف، الإسكندرية، د ط،ص 89.

2_تحصينات درغوث:

عرفت البلاد في عهد درغوث باشا نوعا من التحصينات الدفاعية كانت أشد قوة ومناعة عما كانت عليه من قبل[1]،فأمر درغوث بتشييد بناء المعروف باسم سراي[2] درغوث الذي بناه فوق الأرض التي كان يقوم عليها في الماضي الجامع الكبير الذي أحرقه بيدروا دي نافارا في سنة 1510م، وأحاطه بحدائق وأكشاك، كما وجه اهتماما كبيرا إلى تحصين القلعة حيث أن قيام هجوم بحري لم يكن مستبعدا فإنه قد شيد فوق الهضبة المطلة على المدينة من الجهة الشمالية، الحصن الذي يتوسط الأسوار والمعروف باسم حصن درغوث وبالرغم من أعمال الأتراك في طرابلس إلا أن هناك قبائل من الدواخل لم يكونوا راضيين عن السيطرة التركية من بينها قبائل بني الوليد[3].

احتوت طرابلس الغرب على سرايا ذات لون أحمر وهي قديمة بقدم تاريخ المنطقة، إذ توجد فيها أيضا سرايا أخرى قد أنشأها وسكنها درغوث باشا في عام (1556-1565) بباب البحر، مكونة من دورين مفصولين بالشرفات والأروقة ومحاطة بالحدائق وهذا فقط للتمييز بين السرايا الحمراء والسرايا التي بناها درغوث. وكذلك أنشأ مخزن البارود وجعله تابعا للقلعة[4] **ينظر الملحق رقم 3** التي لون جدرانها أحمر وظهرت هذه التسمية مع بداية العهد العثماني الأول(1551-1711)[5].

وأقام على أسوار دار البارود شرفات على هيئة حصن لحماية الدار ومدخل المدينة من الجهة الشرقية والجنوبية، كما قام بتنفيذ حصن جديد على هضبة باب البحر شمال المدينة عرف بحصن

---

[1]- عمر علي بن إسماعيل: **إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835**، ص ص 23 24.

[2]- **سراي**: كلمة فارسية إستعملها الأتراك لدلالة على قصر الحاكم أو الوالي، ويتكون قصر درغوث من دورين مفصولين بالشرفات والأروقة.ينظر: محمد الطاهر عربي: **وثائق سراي الحمراء بمدينة طرابلس**، 1397هـ-1977م، ص ص 7 8.

[3]-شارل فيرو: **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، نق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، جامعة قاريونس، بنغازي، 1994، ص 111.

[4]- **القلعة**: هي أهم بناية في مدينة طرابس وهي تمثل كل الحقب التارخية التي شهدتها ليبيا، يقول البعض أن من بناها هم الإسبان في القرن 16م.للمزيد ينظر: خالد الهدار: حديث السرايا، **مجلة تاريخ ليبيا**، ديسمبر، 2015م، ص 12.

[5]- محمد الطاهر عربي: وثائق السرايا الحمراء بمدينة طرابلس، الدار العربية للكتاب، د ط، طرابلس، 1977م، ص 8.

التراب إضافة إلى تطويره لحصن القديس سان بيتر الذي قام الإسبان ببنائه لحماية الميناء، إذ تم تبديله بحصن أقوى وأكبر وتحويله إلى شبه قلعة وعرف بحصن درغوث أو البرج الأحمر[1].

وفي عهده وقعت أسقف كاتانيا في الأسر ونقل إلى مدينة طرابلس وقد كتب هذا الأسقف تقريرا يعتبر من أهم الوثائق التاريخية عن مدينة طرابلس، في تلك الفترة قدمه إلى نائب صقلية وهو يصور الأوضاع العامة بمدينة طرابلس سنة 1561م، فيقول عن برج التراب الذي أقامه درغوث، أنه في حالة إنجاز هذا التحصين سيتطلب الأمر قوة مسيحية كبيرة للاستيلاء على المدينة وقد استغرق العمل سنتين وقد ظل هذا البرج قائما إلى حين مغادرة الأتراك العثمانيين، . وأطلقوا عليه اسم برج المنار[2].

3- انجازاته البحرية:

تولى درغوث مدينة ليبيا فوسع السيطرة على سواحلها واستولى على مدن تونس الشرقية والجنوبية مثل:صفاقس[3] وجربة والمنستير[4] وسوسة والقيروان[5]. وهنا يجدر الإشارة إلى أن اهتمام العثمانيين بليبيا كان عسكريا بالدرجة الأولى فاقتصر نفوذهم على المدن الساحلية فقط[6]. وقد اهتم درغوث باشا الذي خلف مراد آغا بإنشاء قوة بحرية في البلاد واستطاع توفير الأخشاب اللازمة لصناعة هذه القوة عن طريق استيرادها من أوروبا وأصبحت نواة البحرية المحلية في البلاد[7]

---

[1]-حسين مسعود أبو مدينة: **جغرافية ميناء طرابلس الغرب**، ط1، دار ومكتبة الشعب، ليبيا، 2005، ص 92.

[2]- خليفة محمد التليسي: المرجع السابق،ص ص 79 80.

[3]- جميل بيضون وشحادة الناضور: المرجع السابق، ص 50.

[4]- **المنستير**: مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة بنحو إثني عشر ميلا عن سوسة، تحيط بها أسوار عالية وأهلها فقراء. ينظر: حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص 84.

[5]- تيسير بن موسى: **المجتمع العربي الليبي العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية**، د ط، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 17.

[6]- جميل بيضون وشحادة الناضور: المرجع السابق، ص 50.

[7]- مفيدة محمد جبران: **أسواق مدينة طرابلس القديمة (دراسة تاريخية اقتصادية)** ، منشورات مكتب إدارة المدن التاريخية, 2010, ص 15.

وأحيا الطرق التجارية الصحراوية[1].وأذن للأسرى المسيحيين بإنشاء مقبرة خاصة بهم[2]. هاجم درغوث باشا بأسطوله شواطئ نابلي، وسواحل توسكانيا، وليفورنيا، وتمكن من أسر كثير من السفن الأروبية، التي تعرضت لهجمات درغوث باشا البحرية، وخاصة الدويلات الإيطالية لقربها من طرابلس، بالإضافة إلى أن الإسبان وفرسان القديس يوحنا، لم ينسوا ما أصيبوا من نكبات وهزائم في طرابلس وغيرها، على يد المسلمين فحاولت الدول الأوربية الانتقام منهم، لكن نشاط درغوث المتواصل جعل كل محاولاتهم تفشل واستطاع درغوث جعل طرابلس قاعدة بحرية لمواجهة الأطماع الأروبية[3]كما جعل درغوث ميناء طرابلس وجربة قاعدة عامة لأساطيله، فلما قامت في تونس فتن أحدثها بالقيروان شخص يدعى الشابي استنجد أهاليها بدرغوث فبادر إليهم وأنقذهم ثم ضم القيروان وتونس للولاية طرابلس[4].

---

[1]- شريفة أمين قاضي: المرجع السابق: ص 20.

[2]- شوقي ضيف: **عصر الإمارات(ليبيا- تونس- صقلية)**, دار المعارف, 1992, ص 39.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة: **النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية، 1711م-1835م، وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية**، ص ص 71 72 .

[4]- محمد بن معود: **كأنك معي في طرابلس وتونس**، مطبعة ماجي، 1953 ط1، ص 51.

المبحث الثاني: معركة جربة

1_لمحة عن جغرافية جربة:

تعتبر جزيرة جربة من أعظم الجزائر خطرا وأشهر ذكرا في وقت مضى وطولها من المغرب إلى المشرق 60 ميلا وعرضها يختلف وهي قريبة من جزيرة قرقنة وأكثر مساكن هذه الجزيرة من النخيل ولا يوجد عندهم إلا دور قليلة[1]وهي جزيرة وسط البحر[2].

2_حملة جربة 1560م:

لقد كان الهجوم الإسباني على جربة منذ سنة 1551م، حيث بوغت درغوث رايس بحصار أندري دوريا بميناء جربة، وفي عام 1558م، فرض درغوث سيطرته عليها، ثم أعاد الأسطول الأوروبي الكرة مرة أخرى في سنة 1560م.فعندما أنهى صلح كاتو كامبريسيس الذي عقد في سنة 1559 الصراع بين فرنسا وإسبانيا وخلف شارل الخامس على الحكم فيليب الثاني.

فكان أول ما اتجه إليه تفكيره هو العمل على إيقاف التهديد العثماني في إفريقية مستجيبا في ذلك أيضا إلى إلحاح المرشد الأكبر لفرسان مالطا، وقد وافق على مشروع الحملة ترمي إلى استرجاع طرابلس من درغوث كما أيدت إيطاليا الحملة إلاّ أن الحملة لم تصل إلى طرابلس ولكنها اشتبكت عند جربة في معركة بحرية انتهت بها إلى كارثة كبرى[3]. وتعتبر هذه الحملة أشدّ محاولة قام بها فرسان مالطا لاستعادة طرابلس هي الحملة المشتركة التي شنوها عام 1560، كانت الحملة من حيث طبيعتها وحجمها شبيهة بحملات كارل الخامس على تونس عام 1535 والجزائر عام 1541 وبلغ عدد القوات أربع عشر ألف رجل[4].

---

[1]- أبو محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني** ، ص 121.

[2]-الحاج ابن الدين: **رحلة الأغواطي في شمال أفريقيا والسودان والدرعية**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ص ص 101 102.-

[3]- إتّوري رّوسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**، ص 223.

[4]- نيقولاي إيفانوف: **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، ص 226. -

3- الصراع الأوروبي العثماني:

اختلفت كتابات المؤرخين حول أحداث معركة جربة نذكر منها ما هو متفق عليه وبعض الاختلافات بين المصادر.

بالنظر للإلحاح الشديد الذي انطوت عليه صرخة درغوث فقد بادر الديوان العثماني بإرسال أمير البحر بيبالي باشا[1] بأن يعمل بكل ما لديه من همّة على مباغتة الأسطول الإسباني وهو ما يزال راسيا في مياه جزيرة جربة وبالفعل انصاع ببالي باشا لأمر وأفرد أشرعة سفنه[2].ووصل هذا الأخير إلى جزيرة قويون وجاءت سفينة من درغوث باشا وال طرابلس الغرب ومنها بلغ خبر فحواه أن أسطول الكفار بالقرب من جزيرة جربة، وينتهز الفرصة للهجوم على طرابلس الغرب وتبادل الطرفان إطلاق المدافع وعندئذ جاءت عدة سفن من الخلف فاستولى عليها بعدما أطلق عليها قنابل كثيرة، وقيض على ربان السفينة، وأرسله إلى استانبول بمدافع سفينته، وبكل ما فيها من متاع[3].

وبالرغم من الرياح الشديدة التي ردتهم على أعقابهم خمس مرات واحتموا بالميناء وفي الأخير أقلع الأسطول الأوروبي في يناير 1560م، عدا عن ثمانية مراكب تابعة لفلورنسة وجنوة وموناكو وصقلية تأخرت بسبب عدم إكمال تجهيزاتها ثم التحقت فيما بعد، فبعضها وقعت في يد درغوث، وفي ذلك الوقت تشتت أسطول الكفار، ولقى هزيمة وقد مكث الأسطول الصليبي في مالطا وانتظر أكثر من شهر لاستكمال احتياجاتهم من أطعمة واحتياط الذخيرة ثم أبحر الأسطول إلى الضفة الإفريقية[4].ثم اقترب دوق مدينا شيلي **ينظر الملحق رقم 4** أحد قادة الأسطول من زوارة وأنزل قواته على شواطئها

---

[1]- **ببالي باشا:** قائد القوات البحرية العثمانية ويذهب البعض إلى أنه كرواتي الأصل تزوج بحفيدة السلطان،ومنح لقب وزير،فتح ريجيو بإيطاليا،سنة 1555م، وفشل في فتح مالطا، إلا أنه دخل جزيرتي خيوس وتينة، كما غزا قبرص، 986هـ/ 1578م.ينظر: محمد شرعي بن معيزة: **دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الإيالات المغاربية ودول جنوب غرب أوربا إسبانيا، فرنسا، الدولات الإيطالية، خلال القرنين 10- 11هـ/ 16- 17م**، ص 110.

[2]- البارون ألفونص روسو: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، نقله عن الفرنسية: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، د ط، بنغازي، ص 95.

[3]- حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، ص 138.

[4]- عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ص ص 60 61.

ثم اتجهت القوات بمساعدة البدو نحو طرابلس وبعد معاينة المدينة تأكد مدينا شيلي من صعوبة احتلالها وأمام دهشة الجميع أمر بالعودة[1].

وعند استكمال تجهيزات الأسطول المسيحي المتكون من أربع وخمسين سفينة حربية في 10فيفري 1560م،وست وثلاثين سفينة شحن، ومن عشرة إلى أربعة عشرة ألف رجل موزعين على تسعة وسبعين لواء، وألف رجل مالطي وأكثر من مائة حصان وثلاثين مدفعا وفي 20مارس رست الحملة في جربة[2]،وكان في الجزيرة مالا يزيد عن 200 من جنود درغوث وحوالي 400 من السكان المسلمين وقد تراجعوا أمام ضغط الإنزال من السفن وتحصنوا في القلعة وتواصلت هذه الهجمات على مدى شهر، وفي 15من مايو وصلت سفن درغوث باشا المكونة من 11غليرية إلى جربة وقام ببالي باشا ودرغوث بإنزال الجنود على الجزيرة فطوقو حامية القلعة المؤلفة من 10آلاف مقاتل ووجهت السفن البحرية باتجاه القلعة وأخذت الحلقة النارية المحيطة بالقلعة بالتقلص غير أن المدافعين لم يكفوا خرجاتهم[3].

وكانت الحملة مؤلفة من ثلاثين كتيبة من المشاة الإسبان تحت قيادة الجنرال دون ألفارو دي ساندو وخمس وثلاثين فرقة من الإيطاليين تحت قيادة أندريا جونزاكا وأربع عشر فرقة ألمانية وفرقتين من المشاة الفرنسيين وأربع عشرة من الفرسان وستمائة من سلاح القذائف والمدفعية أما الأسطول فقد كان مكونا من ثمان وعشرين سفينة كبيرة[4] وأربع عشر سفينة صغيرة وخمسين غاليرا ،بقيادة جيوفاني أندريا دوريا[5] وقد هب البابا بيو الرابع إلى المساهمة بتقديم أربعة مراكب، وقدمت هيئة فرسان مالطا خمسة وكان لديهم من تموين ما يكفي مدة أربعة أشهر وبينما كان الأسطول المسيحي يستجمع قواه،

---

[1]- نيقولاي إيفانوف: المرجع السابق، ص227.

[2]- رحيمة بيشي: **العلاقات التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية 898- 982هـ/ 1494-1574م**،شهادة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة غرداية، 1432-1433هـ/ 2011-2012م،ص 115.

[3]- نيكولاي إيلتش بروشين: المرجع السابق، ص 33.

[4]- كونستانزيو برنيا: **طرابلس من 1510إلى 1850**، ص 61.

[5]- **جيوفاني أندريا دوريا**: قائد عسكري أصله من جنوة، وهوإبن أندري دوريا، ولد في سنة 943هـ/ 1575م، ونشأ متأثرا بسيرة أبيه العسكرية، فدخل في خدمة الملكية الإسبانية، كمرتزق، ينظر: محمد شرعي بن معيزة: المرجع السابق، ص 107.

كان درغوث قد لحق ببيالي باشا، بأحد عشر مركبا، تحمل الجيش والمدفعية[1].ولكن الحملة التي قام بها الأسطول المسيحي لم تصل إلى طرابلس واشتبكت في معركة بحرية فاصلة مع الأسطول العثماني انتهت بها إلى كارثة[2]. وقد باغت الأسطول المسيحي ببالي باشا الذي دارت بينه وبين الأسطول المسيحي معارك حربية أدت في النهاية إلى انتكاسة الأسطول الأوروبي، الذي خسر الكثير من أفراده، وقطعه البحرية[3]،وبعد معركة ظافرة ضدّ العرب والعثمانيين تمكنوا من السيطرة على القلعة التي شيّدوا بها حصنا لكن بعد وصول أخبار تحرك الأسطول العثماني قرروا مغادرة الجزيرة[4].

عين العثمانيون شيخ على جزيرة جربة يدعى مسعود والذي استطاع أن يخدع القوى الأوروبية حيث تظاهر بالتحالف معهم، ثم نصب مع مجاهدي جربة كمينا للقوة الأوروبية وعندما أنزلوا جنودهم على الجزيرة، حدثت معركة عنيفة بين الطرفين، قتل فيها الكثير من المجاهدين، تمكنت على إثرها القوة الأوروبية من السيطرة على الجزيرة، لكن سرعان ما انقلبت الموازين لصالح الأسطول العثماني، حيث انضمت كل من قوى علج علي وبيالة باشا ودرغوث لمواجهة القوى الأوروبية ودخلوا في معركة تمكنوا من خلالها من سيطرة على جربة[5]. وفي هذه الأثناء ظل دون ألفارو صامدا مستمرا في مقاومته، منتظرا بلا جدوى، وصول الدعم إليه من مالطا وصقلية، وحاول القيام بعدة خرجات لفك الحصار المضروب حوله وفي إحدى هذه المحاولات وجد نفسه في الأسر وفي 29 يوليو وبعد يومين من ذلك استسلمت الحامية، بعد أن وهنت قواها[6].

وانتهى الاشتباك البحري بهزيمة الأسطول الإسباني، أمّا درغوث وبفضل خبرته القتالية وشجاعته مقاتليه، فقد تمكن من سحق القوات الإسبانية، وعلت استغاثة الجنود طالبين رفع السيوف عن أعناقهم، أما الأتراك فقد ازدادوا قوة وشجاعة فبدؤوا بحصد الرؤوس[7]ويقول شارل فيرو أن درغوث باشا ترك الأسطول مع جنوده في جربة، أبحر متجها إلى طرابلس، ومنها إلى الأستانة مصطحبا معه

---

[1]- كونستانزيو برنيا: **طرابلس من 1510إلى 1850**، ص 61.-

[2]- مصطفى خوجة: **تاريخ فزّان**،ص 49.

[3]- أحمد سالم: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16**، ص 139.

[4]- رحيمة بيشي: المرجع السابق،ص 115.

[5]- رابحة خضير: **دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م**، ص 123.

[6]- إتّوري روسي: المرجع السايق، ص 225.

[7]- محمود على عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 172.

كأسرى الحرب ألفار دي ساندي وعدد كبير من الفرسان والجند وقد رفض السلطان سليمان فدية فيه فقد كان يعرف جيدا أن سيد هذا القائد ملك إسبانيا لن يبخل بافتدائه بأي ثمن[1].

4-نتائج المعركة:

تمكن الأسطول العثماني من إلحاق هزيمة نكراء بالقوات الغازية، وكان انتصار العثمانيين في جربة نذير شؤم للدويلات الإيطالية القريبة خاصة البندقية فضلا عن البابوية وإسبانية صاحبة النفوذ في العديد من المدن الساحلية الإيطالية، مما أدى إلى تحرك الدبلوماسية المسيحية للإعداد معارك حاسمة غايتها إغلاق المنافذ البحرية أمام تنامي النفوذ العثماني بالمنطقة[2].

يقول المستشرق الفرنسي ألفونصو روسو أن من بين الخسائر التي تعرض لها الأسطول الأوروبي فقدوا خمسمائة من رجالهم، حيث أسرهم العثمانيون وكبّلوهم بالقيود وبعد أن منّي الإسبان بهذه الكارثة قام قائد الأسطول الدوق خوان دي لاسيردا يجمع ما تبقى من أسطوله ورجع على أعقابه إلى أوروبا تاركا الفار دي ساند مهمة الدفاع عن قلعة جزيرة جربة الذي وجد هذا الأخير نفسه محاصرا هو وجنوده وراء أسوارها.ووقع قائدها الدون ألفار دي ساند في يد العثمانيين[3].

وأدت انتصارات جربة إلى إنضواء جميع الأراضي الطرابلسية إلى جانب الجنوب والساحل التونسي تحت لواء درغوث باشا وإلى ازدياد قوته البحرية[4]. وبعد هذا الانتصار الذي أحرزه درغوث اشتغل درغوث مدة خمس أعوام في تعمير وتحصين طرابلس الغرب ولم تخل أيضا من ممارسة نشاطه البحري ضد مالطا والتي ظلت تتحين الفرص لتخلص منه[5].بعد الهزيمة الفادحة التي منّي بها الأسطول المسيحي والذي قرر الاستسلام بعد مقاومة عنيفة ومعركة بائسة، بقي درغوث سيدا على الجزيرة يجوب البحر المتوسط، لا تطول إليه يد يوزع الرعب في كل مكان[6].

---

[1]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص ص 124 125.

[2]- شرعي بن معيزة: المرجع السابق، ص 111.

[3]- البارون ألفونص روسو: المرجع السابق، ص 95.

[4]- أحمد سالم: المرجع السابق، ص 139.

[5]- رابحة خضير: المرجع السابق، ص 124.

[6]- كامللو منفروني: **إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية**، ص 61.

وقد قام درغوث هو ورفاقه ببناء برج من رؤوس خمسة آلاف مسيحي الذين قتلوا في هذا الحصار وعليه فإن هزيمة المسيحين في جزيرة جربة دقت ناقوس الخطر على الأسبان من حيث سيطرة العثمانيين على طرق المواصلات البحرية[1].وأقام درغوث إثر انتصاره على الإسبان أفراحا ابتهاجا بنصره وعرف آنذاك بالقائد الذي لا يقهر[2].

[1]– رحيمة بيشي: المرجع السابق، ص 116.

[2]– محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 172.

للتوسع أكثر حول حملة جربة ينظر: البارون ألفونص روسو: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، ص 95.

المبحث الثالث: حصار جزيرة مالطا واستشهاد درغوث

أولا: حصار مالطا

أ-الاستعداد للحصار:

اهتم السلاطين العثمانيون، منذ عهد السلطان محمد الفاتح في الاستيلاء على هذه الجزيرة والتخلص من شرها وقد أدرك درغوث حساسية موقع جزيرة مالطة وخطرها على الملاحة الإسلامية وسلامة الولايات العثمانية في الشمال الإفريقي[1]. وبعد انقضاء مدة خمس سنوات تقريبا لم يكن فيها أي إنجاز ولم تسجّل فيها أحداث هامة حول البلاد لأي واقعة لها شأن عظيم، لكن ظهر صراع جديد بعد نهاية هذه المدة أشد فتكا من ذي قبل؛ ذلك أنّ فرسان مالطة قد أقدموا على الاستيلاء على قلعة(باديس)؛ الواقعة على الساحل المراكشي والتي كان يحتلها الأتراك، وفي نفس الوقت قامت قوادس الديانة النصرانية بأسر قادس غليوني ضخم اسمه "بيرام أوغلو"، الذي كان محمّلا ببضائع مستجلبة من المشرق فقد أثار هذان الحادثان تأثرا بالغا ومنذ تلك اللحظة قرر السلطان سليمان سحق قوة مالطة[2].

وبعد الانتهاء من الاستعدادات غادر الأسطول العثماني إستانبول في 22 مارس 1565متجها إلى مالطا التي وصل إلى مشارفها في 28ماي 1565، وبعد تردد قصير رجعوا نظرا لتخوفهم من الأحوال الجوية السيئة السائدة من الساحل[3]. ثم سارع السلطان سليمان القانوني بإرسال رسائل إلى كل الولايات العثمانية يطلب منها المساهمة في حصار مالطا ومنها الجزائر التي طلب من حاكمها آنذاك، حسن باشا لكي يستعدّ للانضمام للأسطول العثماني في ربيع 1565 التوجه لبداية الحصار[4] إنّ قرار السلطان سليمان القانوني على توجيه حملة على جزيرة مالطة الذي كان بالتنسيق مع القيادات العثمانية، باستثناء درغوث ريس وعلج علي الذّين ألحّا على توجيه الحملة لتحرير الموانئ المغربية"باديس، حلق الوادي، وهران"؛ من أجل تأمين السفن

---

[1]- أحمد سالم: المرجع السابق، ص 141.

[2]- شارل فيرو: المرجع السابق، ص126.

[3]- نعيمة بوحمشوش: **البحرية الجزائرية وحصار مالطا 1565**، في مجلة حولية المؤرخ، العدد 5، جوان 2005، دار الكرامة، جامعة الجزائر،ص 132.

[4]-نفسه، ص 131.

الإسلامية في البحر المتوسط وصد خطر الممالك المسيحية[1]، وكذلك باعتبارها امتدادا للدولة العثمانية، لأنّ خطرها أشدّ تأثيرا، خلافا لمالطا البعيدة عن الأراضي العثمانية وكان درغوث على علم بأمر الحملة منذ أواخر سنة 1564[2].

ب-أسباب الحصار:

1- يرجع السبب الرئيسي الذي أدى بالسلطان سليمان القانوني إلى اتخاذ قراره بإرسال جيوشه المحاصرة لمالطا إلى الموقع الجيو-إستراتيجي الممتاز لهذا الأرخبيل والذي كان يسمح له باتّخاذه كقاعدة بالغة الأهمّية للعمليات التي قد يقوم بها مستقبلا ضد أوروبا كالاستيلاء على صقلية وإيطاليا وغيرها...، وقد وصف (دون قارسيا دي طوليد) مالطا بكونها مفتاح صقلية[3].

2-إنّ ضياع طرابلس لمكانتها لم يقلل في شيء من قوة فرسان مالطا وقد قرر السلطان وبصفة خاصة بعد إلحاح درغوث باشا والي طرابلس وحسن بك والي الجزائر الهجوم على مالطا[4].

3-كانت مالطا تشكل قاعدة بحرية هامّة تؤثر على حرية التنقّل في المتوسط، وتهدّد المصالح الإسلامية التجارية، كما كان فرسان مالطا يعيقون حركة الحجاج المسلمين باتجاه الأماكن المقدسة، وقد أدرك درغوث جيدا حساسية موقع مالطا وخطورتها على العثمانيين.

4-كذلك فشل حسن باشا (حاكم الجزائر) في تحرير مدينة وهران وحلق الوادي من الإسبان إذ أصبحت له خلفية سيئة في نظر السلطان سليمان[5].

ج-أحداث معركة مالطا:

أعلنت الدولة العلية في سنة 972هـ/ 15 للميلاد الحرب على مالطة، وكان فيها فرسان القديس يوحنا يحرضون الدول الأوربية على المسلمين وأرسلت إليها أسطولها فحاصرها ولما طال

---

[1]- يوسف حسين عمر: **الصراع الفرنسي البريطاني على مالطا 1798-1801م**، في مجلة جامعة الأقصى، المجلد العشرين، العدد الثاني، يناير 2016، ص 178.

[2]- الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية مع إسبانيا في القرن 10هـ/16م**، شهادة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة غرداية، 1434-1432هـ/ 2010-2011م، ص 96.

[3]- نعيمة بوحمشوش: المرجع السابق،ص 127.

[4]-كوستنزيو برنيا: المرجع السابق، ص 69.

[5]-الشافعي درويش: المرجع السابق،ص 95.

الحصار استدعى درغوث[1] من طرابلس فذهب إليهم[2]. ثم أرسل السلطان سليمان الوزير الثاني أسفندر يار أوغلو(مصطفى باشا) إلى مالطة في الأساطيل ولقّبه بالسردار ورفقه بالقبودان(بياله باشا) فقدموا"مالطة" ولحق بهم (طرغوت باشا) فخرجت العساكر إلى البر وأخذوا في عمل خنادق أمام القلعة[3] وأقاموا عليها الحصار الشديد إلى أن أثخنوا بها وأخذوا أسرى كثيرين، وكان قد وقع في يد حاكم المدينة أسرى من اليكيجرية فلما أجهده الحصار أمر بقطع رؤوسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين ودارت بينهم حروب هائلة وفقد عسكر كثيرين ولم تأخذ المدينة[4].وقرر درغوث على رأس أسطوله المتكوّن من عشرين سفينة عسكرية المشاركة في الحملة العسكرية التي شنّها السلطان سليمان لفتحها[5].

وصلت الحملة العثمانية إلى الجزيرة في يوم 18ماي 1565، ودرغوث في 2جوان 1565 وكان بصحبة تلاميذه إذ جاءها محمّلا بالسّلاح والجنود والبارود والبواخر،[6] وكانت القوات التركية مكونة من مائة وخمسين سفينة ومن ثلاثين ألف جندي إنزال وقدم القرصان قلج علي قراصنته الأشدّاء[7]. فعززت الدونانمات العثمانية.

وفي أوائل سنة 1565أرسلت عمارة بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس حنّا الأورشليمي، لأهمية هذه الجزيرة الواقعة بين إقليم تونس وجنوب إيطاليا،

---

[1]– لاشكّ في أنّ درغوث قد سمع في شبابه عن وقائع حرب السلطان ضدّ البحر في سنة1526، ولاشكّ في أنه قد سمع بذلك النصب التذكاري الذي شيد من جماجم ألفين من المهزومين حيث رصفت على هيئة هرم أمام خيمة,ينظر: شارل فيرو، المرجع السابق، ص 125.

[2]–أحمد الطاهر الزاوي: **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، ص 157.

[3]– القلعة التي شهدت أحداثا تاريخية كثيرة، كانت قديما مفصولة عن المدينة بخندق عريض يحيط بها من ثلاث جهات وكانت تواجه الميناء الواسع ببنائها المربع الضخم وتحمي المدينة من البر والبحر.ينظر: محمد محمد المفتي:حديث السرايا، في مجلة تاريخ ليبيا، د ع، ليبيا، ديسمبر، 2015م، ص 10

[4]– أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب في أخبار طرابلس الغرب**، ص 210.

[5]–كمال فيلالي: تاريخ المغرب الحديث (من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة 1453-1837)، دار ألكسندر للطباعة، ط1، قسنطينة، 2016م، ص 132.

[6]– الشافعي درويش: المرجع السابق، ص 96.

[7]– **ميناء طرابلس**: عبارة عن خليج مفتوح ناحية الشرق بحميّة من الشمال رأس صخري تقطع بفعل الأمواج إلى مجموعة من الجزر، وقد ساعدت هذه الجزر في حماية المرفأ من أثر الرياح الشمالية.ينظر: حسين مسعود أبو مدينه، المرجع السابق، ص 74.

لكل دولة تريد أن تكون لها يد طائعة على منطقة البحر الأبيض المتوسط[1]. وصل درغوث ريس إلى مالطة ب15 بارجة و1500جندي وكانت المعارك قد بدأت، غير أنّها لم تكن ناجحة لذا تقرر عقد مجلس "جرب" آخر وقد برز فيه رأي درغوث المعارض للخطّة التي انتهجها مصطفى باشا وبياله باشا وقال أنه كان يجبرنا بالقائدين بداية هجوماتها من المدينة القديمة، ومن حصن البرج لأنه هو المموّل الرئيسي عددا وعدة لباقي الحصون إذن فسنسقط كل القلاع الأخرى فيما بعد غير أنّ الرأي جاء متأخرا[2]، إذ لم يعد هناك مجال لإيقاف العمليات ونقلها إلى مكان آخر وعلى كل حال كان من حظ مالطا أنّ درغوث وصل متأخرا[3] وقام سليمان القانوني بفرض حصار مشدّد عليها أكثر من السّابق عرف باسم "حصار مالطا العظيم"بينما لم يكن عدد المدافعين عن مالطا أكثر من تسعة آلاف توزّعوا عبر مالطا وجوزو.

أمّا في منطقة الميناء فقد قام حاكم مالطا الملقب" بالسيّد العظيم" والمعروف باسم جين باريسوف دي فاليت(1557– 1568) بالدّفاع عنها[4]،حيث أرسل درغوث إلى القسطنطينية علج علي أثناء حصار جربة؛ من أجل الحصول على إمدادات الحرب، وفي حصار مالطا عهد إليه بقيادة مجموعة من السفن وعند نقص التموين على الجيش العثماني أرسلها القائدان الطرابلسيين لإحضار التموين والمزيد من الدعم. وكان القائدان الكبيران ببالي باشا وعلج علي لا يقرران[5]شيئا حول خطة الحصار والمعارك، قبل التدخّل المباشر لدرغوث الذّي كان السلطان يعجب من مواهبه الخاصة وخبرته الطويلة في هذا المجال[6]. وتلقت الجزائر وطرابلس أمرا بتعاون معا ضدّ المسيحيّين وذلك بقيادة بيالي باشا وتمّ تعيين 180سفينة و4500رجل و63قطعة حربية[7]. كما أظهر حسن باشا شجاعة ومهارة كبيرة في حصار مالطا جعلته محل أنظار

---

(1)– محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**،تح: إحسان حقي، دار النفائس، ط1،بيروت،1401هـ-1981م، ص 249.

(2)– **مصطفى باشا**: عينّ واليا على طرابلس في جمادى الآخرة سنة1293هـ وعزلّ في التاسع من ذي الحجة سنة 1295هـ يونيه سنة 1876م ومدّة حكمه سنتان وسبعة أشهر تقريبا. للمزيد ينظر: أحمد الطاهر الزاوي: ولاّة طرابلس، ص 266.

(3)– نعيمة بوحمشوش: المرجع السابق، ص 134.

(4)– يوسف حسين عمر: المرجع السابق، ص 178.

(5)–كونستانزيو برنيا: المرجع السابق: ص ص 62 69.

(6)–كوستانزيو برنيا: المرجع السابق، ص 69.

(7)- Ernest mercier:histoir ,septentrionale(berberie)ernest lerou edeteur pris t3 p108

الجميع، فبعدما تحرك الأسطول العثماني تحت قيّادة مصطفى باشا وبيالي باشا تمّ وضع الحصار أمام حصن سانت إلمو[1]وتواصلت المعارك التي حصدت أعدادا كبيرة من الجند العثمانيين فرغم بسالة وإقدام الجنود العثمانيين، إلاّ أنّهم لم يتمكّنوا من الاستيلاء على هذا الحصن المنيع ولم يتفطنوا لسبب ذلك، إلاّ بعد أن منيوا بخسائر كبيرة ويتمثل هذا السبب في كون حصن القديس ألمو كان ما يزال على اتصال بما جاوزه إذ لم ينتبه العثمانيين إلى قطع الاتصال بينه وبين ماجاوره، وبهذه الطريقة كان لافاليت ينقل الجرحى تحت جنح الليل ويعزز الدفاعات تباعا ويموّن الحصن ومما جعل هذا الحصن يصمد 20 يوما قبل أن يسقط في يد العثمانيين في 23جوان 1565بعدما ضعفت قواتهم نظرا للخسائر البشرية الجسيمة، وكان منها الريس درغوث الذّي أصيب بشظيّة قاتله أثناء معاينة الأحوال والتحصينات[2]. بثلاثة عشر قادسا ومعه حسن باشا الجزائر الذي برهن بالفعل منذ وصوله إلى مالطة أنّه جدير بانتسابه إلى هذين الرجلين المشهورين، فتكفّل بمهاجمة حصن القديس ميخائيل الّذي يدرك أنّه من أصعب المهام[3]

عهد مصطفي بيالي باشا بمهمة القيادة، إذ باشر منذ وصوله إلى أمام جزيرة مالطا بفرض حصار على إحدى القلاع التي تحرس مينائها دون انتظار درغوث الذّي تأخر عنهم في الوصول، فلما وصل هذا الأخير وجد أنّ تحركاتهم بهذا الشكل كانت خاطئة والتراجع عن ذلك ليس في صالحهم بعد قطعهم شوطا من الحصار لذلك قام درغوث بهجوم عسكري[4]، ثم سيطر درغوث على القلعة من جهة ومن جهة أخرى واجهتها قلعة سان أنجلو ولم يكن الدخول إلى قلاع الفرسان سهلا ما لم يتم اختراق الحصن السابق، وحوصر سان إلمو في يوم 24مايو.

وبعد ثلاثة أيام وصلت المساعدة من الإسكندرية بقيادة علج علي أمّا درغوث فقد وصلها في 2يونيو على رأس ثلاثين سفينة حربية وقد أستقبل بكل احترام لأنّ ماضيه معروف فهو يهاجم مالطا للمرة الثالثة، وفي الرأس المعروف باسمه والذّي يسدّ بجزيرة سان إلمو[5] ميناء مرسى موشيتو، فوضع ثلاث فرق مدفعية ومن الجهة المقابلة قصف الحصن وقام بالهجوم تحت

---

(1)- H-D-de grammont histoire dalger sous la domination turque 1515- 1830 ernest weroux editeur paris 1887 p104

(2)-نعيمة بوحمشوش: المرجع السابق، ص ص 134-135.

(3)- شارل فيرو: المرجع السابق، ص 126.

(4)- رابحة محمد خضير، المرجع السابق،ص 124.

(5)-كوستانزيو برنيا: المرجع السابق،ص 69.

هجوم المدفعية البرّية والبحرية لكنّه خسر وأقترح على مصطفى باشا سحب قواته(هذه هي حرب مالطا، لقد أمضيت ثلاثين سنة في محاولة الهجوم عليها، وقد أوصيتك بالحكمة والحذر)[1].

د–ردود فعل الحكام المالطيين:

علم لافالييت عن طريق جواسيسه باستانبول بقدوم الأسطول العثماني كان قد اتّخذ إجراءات وقائية تحسبا لأي هجوم مباغت وفي هذا الإطار شرع في حركة دبلوماسية واسعة النطاق محاولة إقحام الأطراف الأوربية الأخرى إلى جانبه في صراعه مع العثمانيين؛ فقد أرسل عددا من المبعوثين إلى كل من البابا بيوش الرابع وفيليب الثاني يحثهم فيها على إرسال كل ما يستطيعون من قوات لمنع سقوط مالطا[2]. حيث كانت المقاومة المالطية مدهشة ورائعة إذ نصّبوا بكل بسالة وعنف إلى الهجمات العثمانية الموزعة، ولم يفسحوا المجال للعثمانيين أكثر من أربعة أشهر، استنفذ فيها الجيش كل ذخيرته الحربية ومعدّاته وثوريته، وكان استهلاك كل هذا الوقت في الحصار ضدّ استراتيجية الأسطول العثماني التي تقضي دوما تبنّي أسلوب المفاجأة وسرعة التحرك وإنهاء المعارك ولقد حتّم كل هذا عدم نجاح العثمانيين في الاستيلاء على قلاع الجزيرة[3] وعندما شعر لافاليته بأنّ المدافعين عن الحصن كانوا يريدون الجلاء عنه توقعا للاستعدادات الكبيرة من قبل العدوّ، فبعث إليهم يبلغهم بأنّه سوف يحضر شخصيا للدفاع عنه بنفسه وعقد مجلس عام وفيه دقات طبول؛ فاجتمع حوله جميع رجال المنظمة وتقدّم إليه ألفان من المالطيين واقفين تحت تصرفه، وكان هذا كافيا لإقناع المرشد الأكبر بأنّ حامية سان إلمو مستعدّة للموت دفاعا عن قلعته[4].كانت أوربا تنظر لهذه الجزيرة نظرة اندهاش بما فعله بها العثمانيين واعتبرت الجزيرة آخر حاجز ضدّ المد الإسلامي، وطلبت المساعدة من إسبانيا للدفاع عن هذه الجزيرة. وقد تمرّد جيوفاني داوستريا على أوامر الملك وركب البحر متجهاّ إلى مالطا وحاولت مالطا النجاح على الأتراك مرة أخرى[5].

---

[1]–كوستانزيو برنيا: المرجع السابق،ص 69.

[2]– نعيمة بوحمشوش: المرجع السابق، ص 132.

[3]– أحمد السالم: المرجع السابق، ص 141.

[4]–كوستانزيو برنيا: المرجع السابق، ص 70

[5]–نفسه، ص 72.

و-مراحل الحصار:

أ-المرحلة الأولى:

وفي الليلة التالية ردّ درغوث هجوما بعد أن خسر جنوده في 15يونيو إذ كان سابع هجوم ضد حصن سان إلمو رغم تفطّن درغوث إلى أنّ لافاليت يرسل الدعم للحصن بعد كلّ هجوم وتولىّ مصطفى الحصار منذ بدايته إذ خاض أربعين معركة مع درغوث. وفي ليلة 17يونيو قرر درغوث ومصطفى تحرّي حصن سان أنجلو بقوة لتضييق الحصار وفي اليوم التالي انتقل درغوث إلى صميم المعركة لمواجهة العداء وبدون خوف من الموت بحكم ثباته في أمور الحرب وهناك أصيب بشظية في رأسه[1].

ب-المرحلة الثانية:

إنّ المرحلة الثانية من الحصار قد جرت حول بورجو وقلعة سان أنجلو وبدأت في30يونيو وكان 7أغسطس يوما تاريخيا أصيب فيه الأتراك بنكبات وخسائر فادحة وتمّ إيقاف الهجوم بسبب الدعم القادم من صقلية ولم يبقى إلا الأمل في معجزة تنقذه من العدوّ الذّي غضب لكثرة ضحاياه[2].

هـ- نتائج حرب مالطا973هـ/1565م:

نجح العثمانيون في اقتحام حصن سان إلمو والاستيلاء عليه مع هذا فإنّ الوضع لم يتغير لصالح العثمانيين الذّين فقدوا أحد الشخصيات البارزة للقرن السادس عشر على الإطلاق وهو درغوث باشا وكان فشل العثمانيين في حصار عدة نتائج أهمها:

1-بداية الاتحاد الأوروبي بتكتيل القوى المسيحية للعمل المشترك للقضاء على العثمانيين وهذا ما سوف يؤدي إلى الحلف المقدس الذي تزعّمه البابا وقد كان انتصار فرسان القديس يوحنّا دافعا لهم على استرجاع طرابلس الغرب وقد أدّى هذا الانتصار أيضا إلى تعزيز معنويات الإسبان وعملهم على زيادة تحصينات قلاعهم في الشمال الإفريقي وزيادة حركتها البحرية وتركيزها على البحر المتوسط[3].

---

[1]-كوستانزيو برنيا : المرجع السابق، ص 72.

[2]- نفسه، ص 72.

[3]- أحمد سالم: المرجع السابق، ص 142.

2- لم يكن موت القبودان الشهير درغوث والمعروف عند الإفرنج باسم دراجوت أثناء الحصار سببا في عدم استمراره ولما قرب فصل الشتاء الذي تكثر فيه الزوابع البحرية رفع الحصار عنها في 11سبتمبر 1565وعادت السفن بجيوشها إلى دار السعادة[1].

3- فقد الأتراك العثمانيين خلال ثلاثة أشهر من الحصار خمسة وثلاثين ألف رجل أماّ ولايات الشمال الإفريقي قدّمت ما يقرب عن خمسة عشر ألف جندي ولم يبقى منها سوى ألف وخمسمائة، وبعدها واصل علج علي مهمّة الحصار بعد موت درغوث ريس[2].

4- وفي نهاية عام 1565إستولى فرسان القدّيس يوحنّا على قلعة فيليز الواقعة على الساحل المغربي، وكانت تحت النفوذ العثماني، وصادف في الوقت ذاته؛ قيام سفن إسبانية بأسر سفن تابعة للسلطان العثماني فكان لهذين الحادثين أثر بالغ في نفسيّة السلطان سليمان الذّي قرر محق قوّة فرسان القديس يوحنا الّذين تمادوا في أذى المسلمين[3].

5-جاء فشل الدولة العثمانية في إسقاط مالطا سنة 1565ليؤكد نهاية عصر القوة وانتهاء السيطرة البحرية للدولة العثمانية، وبدء صراع الجند في ولاية ليبية لأكثر من قرن ونصف من الزمن، وعند موت درغوث انتهت حرب مالطا بسبب خسارة العثمانيين وبلدان الشمال الإفريقي بصفة عامة[4].

ثانيا: استشهاد درغوث:

تبيّن من خلال تنوع المصادر أنّ هناك اختلاف في الروايات حول استشهاد درغوث الذي زعزع طرابلس بعد رحيله وهذا بعد مشاركته في حصار مالطا الذّي قتل فيه حيث كان في الخندق في بداية العمليات[5]، ويقول شارل فيرو في كتابه أنّه قتل عند الهجوم على حصن القديس(الملاك)؛ فلقد أصابته شظيّة في رأسه انطلقت من طلقة مدفع. وفي الكتاب نفسه تقول مصادر أخرى أنّها قد أصابته في بطنه فانحبس الدّم بغزارة من فمه وأنفه وأذنيه فلم تمهله جراحه الخطيرة سوى لحظات ويذهب الرواة المحليّون إلى أنّ ضبّاطه وهم يحملون بعيدا عن ساحة المعركة

---

[1]- فريد بك المحامي: المرجع السابق، ص 249.

[2]-كوستنزيو برنيا: المرجع السابق، ص 73.

[3]- رابحة محمد خضير:المرجع السابق، ص 124.

[4]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 168.

[5]- Ernest mercier: op-cit 103.

قد سألوه إن كان يريد قول شيء عن طرابلس فقال لهم" **اللهّم بجاه ملايكة السماء السبع، وبجاه ملايكة الأرض السبع تجعل كل من حفر على طرابلس يكون مغلاقها رأسه**"[1].

ويقول كامللو منفروني أنّ درغوث شارك في الهجوم فأجلو رجاله جلاء حسنا ولكنّه في يوم 18يونيه 1565سقط ميّتا بشظيّة صخرية[2]. ويقول الطاهر الزاوي:" أنّ (طرغود) درغوث استشهد في إحدى المعارك سنة 973هـ وجيء بجثّته إلى طرابلس، ودفنت في تربة خاصة ومازال قبره يزار باعتباره أحد الشّهداء ومن كبار المجاهدين"[3] ويقول دوغرامون في كتابه:" قتل درغوث الذي كان ذو قيمة كبيرة وأكثر إنسانية والتحق بالجيش في 25مايو ، حيث أصيب بجروح على رأسه بحجر ثمّ توفيّ"[4].وحملت قوادس طرابلس جثمان سيّدها إلى العاصمة يوم 23يونيو سنة 1565، وبحسب ما رواه المؤرّخون فإنّ درغوث قد توفيّ وهو يناهز السادسة والخمسين من عمره وحسب قول كمال فيلالي توفي عن عمر قارب التسعين عام[5] ولقد اشتهر في جميع مواقف حياته بشجاعة خارقة، كما كانت نزاهته مضرب الأمثال كلّما باشر بتوزيع الغنائم المأخوذة من طرف العدّو هذا ماجعله محبوبا من قبل قراصنته، ولقد وضع جثمانه في الجامع[6] الذي بناه في مدينة طرابلس قرب سوزر؛ الجهة المطّلة على البحر، حيث خاض الحروب طوال حياته ضدّ جميع الأمم النصرانية فيما عدا الفرنسيس.

ويقول ابن غلبون في كتابه حول استشهاد درغوث "فلما حاصروا بعض قلاعها(الجزيرة) أصابته رحمه الله كورة، قيل لم يصبه جسمها وإنّما أصابه حرّها؛ فنزل من حلقه دم كثير حتى استفرغ فمات، وقيل أصاب جسمها جوفة فقطعت أمعائه فدفنت هناك، وصبّر بير علي قائد الأسطول باقيه وأرسله إلى طرابلس فدفن به"[7].أما بالنسبة لرأي محمود علي عامر هي نكبة

---

[1]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص 126.

[2]-كامللو منفروني: المرجع السابق، ص 62.

[3]- أحمد الطاهر الزاوي: **ولاة طرابلس**، ص 158.

[4]-H-D-De Grammont: op-cit p101.

[5]-كمال فيلالي: المرجع السابق، ص 132.

[6]- نظرا لمدى أهميّة جامع درغوث اعتقد بعض الرحّالة من أمثال ابن عبد السلام النّاصري أنّه المسجد العتيق وهو ينعت بجامع الناقة وأسسه سنة 958هـ وقد قسم منه من طرف الوالي علي باشا سنة 1013هـ، ينظر: عبد الهادي التازي: أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، ص 140.

[7]- محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: المصدر السابق، ص 174.

أصيبت بها طرابلس تمثلت في استشهاد درغوث وهي بالغة الأثر، فبكاه اللّيبيون بأسى شديد بفكّ الحصار عن مالطا، ونقل جثمان درغوث إلى ليبيا حيث دفنوه في مسجده في الرابع والعشرين من حزيران سنة 1565[1].ويقول سامح التر أنه توفي سنة 1564م.

أما بخصوص ميراث درغوث باشا ؛ فقد ورد الأمر بإحصائه وقبضه وإرسال ما يمكن إرساله وحفظ الباقي إلى حين آخر، وكان من بين ما خلّف غير النّقود والأموال 6أسرى مسيحيين، كان المطلوب إرسالهم إلى إستانبول ومابين 70و80أسيرا اقتضى بقائهم في طرابلس الغرب حتى تتم قضيّة ترميم القلعة[2].

وبعد وفاة درغوث نكست طرابلس الغرب قبل جيرانها بفقدانها للريس درغوث فبموته غدة أمرة الأمراء مجرد لقب خال مضمونه ومحتواه لأن الأشخاص الذين لقبوا به ذهبوا إلى حياة اللهو والمجون وانساقوا وراء الثروة، وازدادت الصراعات العسكرية، بين الجند والأهالي، فأهملت الزراعة ودمرت الصناعة الحرفية، وتلاشت قوة القراصنة، وأقيمت التكتلات الإقليمية بين الإنكشاريةالخمسة [3].

وصفوة القول:

بعد اطلاعنا على بعض المصادر والمراجع وجدنا اختلافا في الروايات حول من تولىّ الحكم بعد درغوث ريس، حيث يقول سامح إلتر أنّ من خلفه محمد باشا. ويقول أيضا محمود علي عامر أنهّ أتى بعد درغوث يحي باشا وغيرها من الروايات المتنّوعة في المصادر.

قدّم درغوث الكثير من الإنجازات في كل من تونس وطرابلس الغرب فبفضله استطاعت جربة تخلص من العدو المسيحي، وأصبح العدو يحسب له ألف حساب بفضل قوته وجبروته وحنكته العسكرية ومشاركاته في كثير من المعارك من بينها معركة جربة التي استطاع فيها القضاء على العدو المسيحي، كما ساهم أيضا مع الدولة العثمانية في السيطرة على جزيرة مالطا من خلال الحصار سنة 1565م، إلا أن العثمانيين لم يفلحوا في سيطرة على الجزيرة، كما خسرت الدولة العثمانية شخصية من حكامها البارزين درغوث ريس.

---

[1]- محمود علي عامر: المرجع السابق، ص 174.

[2]- خليل الساحلي أوغلي: **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين** بحوث ووثائق وقوانين، ص 345.

[3]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 174.

خـــاتمة

تطرقنا من خلال هذه الدراسة إلى شخصية درغوث باشا وجهوده في تحرير سواحل طرابلس الغرب، والذي يعتبر أحد الولاة العثمانيين البارزين خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ وتحديدا في الفترة ما بين 1553-1565م. كما حاولنا أثناء هذه الدراسة أن نبرز أهم مراحل حياة درغوث ريس في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، بالإضافة إلى إبراز دوره في تحرير طرابلس الغرب من أيدي الإسبان، ومدى تأثر الطرابلسيين بشخصيته خلال فترة حكمه. ويمكن تلخيص هذه الدراسة في جملة من الاستنتاجات، أهمها:

تحتل طرابلس الغرب موقع جغرافي هام جعلها محل أطماع الدول الأوروبية، مثل الإسبان. فقد تعرضت طرابلس الغرب للاحتلال الإسباني بقيادة الكونت بيدرو دي نافاروا، حيث لقي السكان أبشع أنواع التعذيب. وأيضا مدى عزيمة وإصرار الطرابلسيين في انتزاع المدينة من الإسبان، وكذا اهتمام السلطان العثماني في افتكاك طرابلس الغرب من العدو المسيحي.

بقي أن الأسطول الإسباني مصرّا على إبقاء طرابلس الغرب تحت سيطرة الدول الأوروبية فمنحها للفرسان القديس يوحنا، الذين جعلوها منطقة نفوذ تابعة لهم وقيامهم بعدة إنجازات في طرابلس الغرب من بينها تحصينات المدينة.

على الرغم من إصرار فرسان القديس يوحنا على أخذ طرابلس الغرب، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، وذلك بسبب ظهور شخصية مراد آغا الذي كان له دور في انتزاع طرابلس الغرب من أيدي الفرسان، وخاصة مدينة تاجوراء التي كان حاكما عليها. أما بالنسبة لولاية طرابلس الغرب، فقد استطاع درغوث باشا من القضاء على ما تبقى من الفرسان.

كان لدخول العثمانيين أثر بارز في القضاء على العدو المسيحي، فقد بذل الولاة العثمانيين مجهودا كبيرا في التخلص من الأسطول المسيحي وفرسان القديس يوحنا.

اقتصر نفوذ العثمانيين في طرابلس الغرب على المدن الساحلية فقط، وكانت المدن الداخلية تحت قيادة الزعامات المحلية.

تعتبر شخصية درغوث باشا بمثابة حدثا مهمّا في تاريخ طرابلس الغرب، حيث كان له الفضل الكبير في استرجاع طرابلس من الأسطول المسيحي، بالإضافة إلى إنجازاته من خلال وضع تحصينات للمدينة.

قـام درغـوث باشـا بتحرير طـرابلس الغـرب مـن أيـدي الإسـبان سـنة 1560م، وتمكـن مـن طـرد الأسطول المسيحي من جربة.

شارك درغوث باشا في حصار مالطا سنة1565م، حيث استدعاه السلطان العثماني، للمشاركة في الحصار،وكان معه كل من بيبالي باشا وعلج علي فحاولوا السيطرة على الجزيرة، إلاّ أن محاولاتهم باءت بالفشل، فعلى الرغم من هزيمة الدولة العثمانية في السيطرة على جزيرة مالطا، إلا أنها بقيت تواصل معاركها ضد الأسطول المسيحي.

تؤكّد المصادر التاريخية وفاة درغوث باشا في حصار مالطا سنة 1565م، وقد حزن عليه الطرابلسيين حزنا كبيرا. وبعد وفاته شهدت البلاد نوع من الفوضى وتركت طرابلس الغرب مدة من الزمن بدون والي، وبعدها تمّ تعيين يحي باشا والي على طرابلس الغرب.

لقـد كـان لشخصـية درغـوث باشـا دور هـام في تحرير طـرابلس الغـرب مـن العـدو المسيحي، وحـرّر العديد من المدن التونسية من قبضة الإسبان، وعلى الرغم من قصر فترة حكمه، إلا أنه قام بالعديد مـن الإصـلاحات في طـرابلس الغـرب. وتؤكّـد أغلـب المصـادر علـى عـدم تـوفر معلومـات كافيـة حـول شخصية درغوث، لذا حاولنا أن نقف على أهم إنجازاته، سواء في طرابلس الغرب أو خارجها.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نحمد الله تعالى أن وفقنا إلى إتمام هذا العمل، كما لا يفوتنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته رغم كثرة انشغالاته، فله منّا جزيل الشكر والعرفان.

ونأمل أن نكون قد استوفينا بعض جوانب الموضوع، وهناك جوانب أخرى اقتنعنا بأنها في حاجة إلى فتحها، وخوض غمار البحث فيها، على أمل تحقيق المزيد من التراكم العلمي في موضوع شغل بال المؤرخين، وجادت به قريحتهم وفاض فيه سخاؤهم.

الملاحق

الملحق رقم: 01 رسم تمثيلي يوضّح منظر لمدينة طرابلس المتمثل في السور والميناء والاستحكامات الحربية[1]

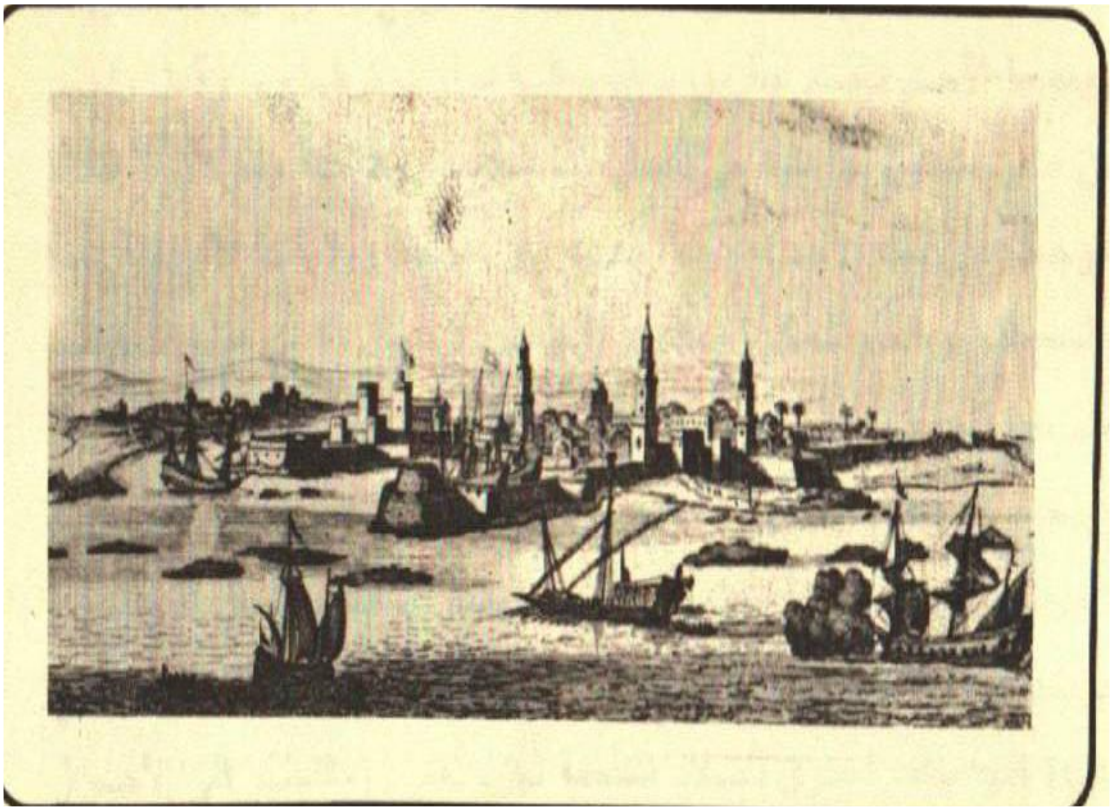

[1]- نقلا عن : نجم الدين غالب الكيب: **حكاية مدينة طرابلس**، ص 43.

الملحق رقم02لوحة توضّح جانب من جامع درغوث تظهر به المئذنة[1]

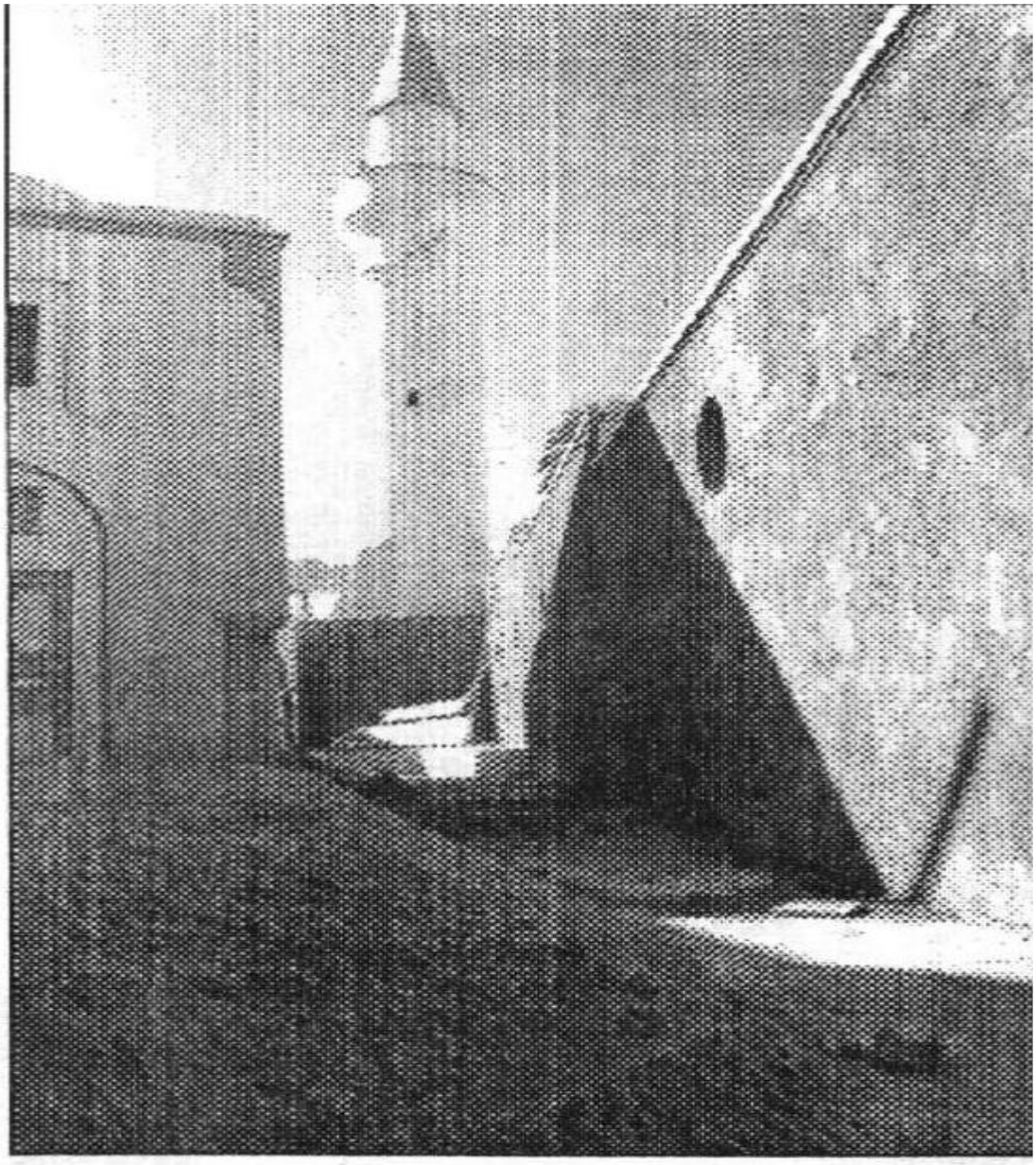

[1]- صلاح أحمد البهنسي: **طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني**، د ص.

الملحق رقم: 3 رسم تمثيلي يوضّح قلعة درغوث باشا[1]

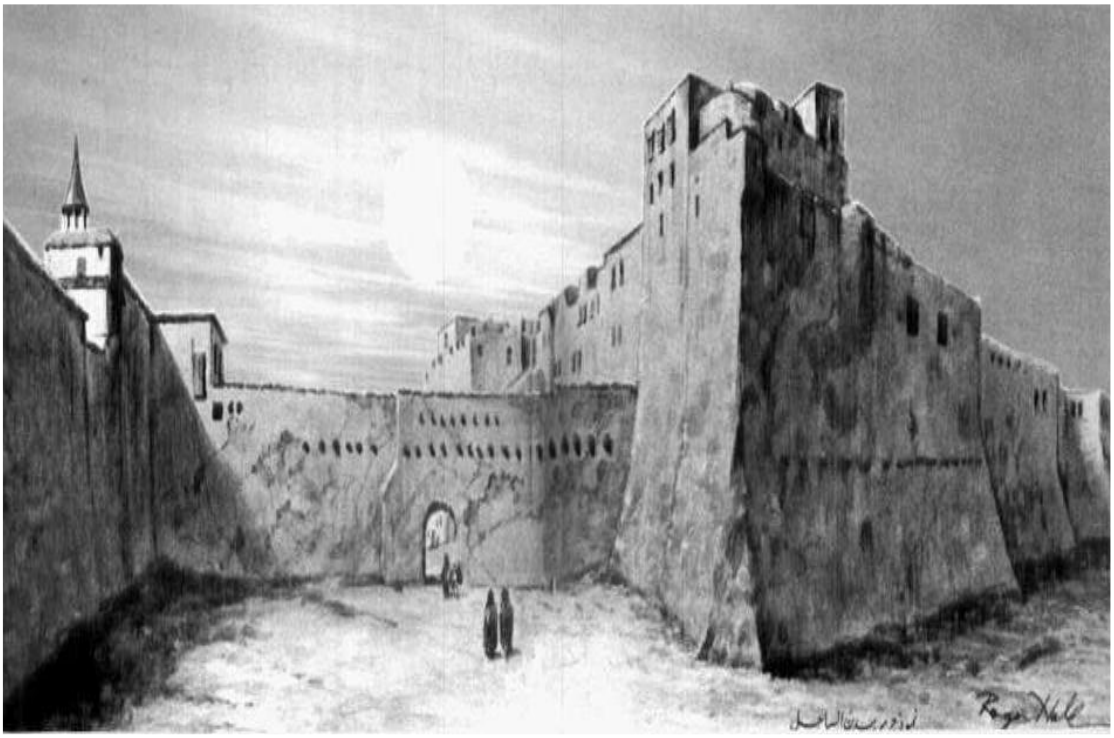

[1]- عبد المنعم الجميعي : **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، ص 31.

الملحق رقم :04 رسم تمثيلي يوضّح حصار مدينة طرابلس الغرب عام 1559م من طرف القوات المسيحية بقيادة مدينا شيلي[1]

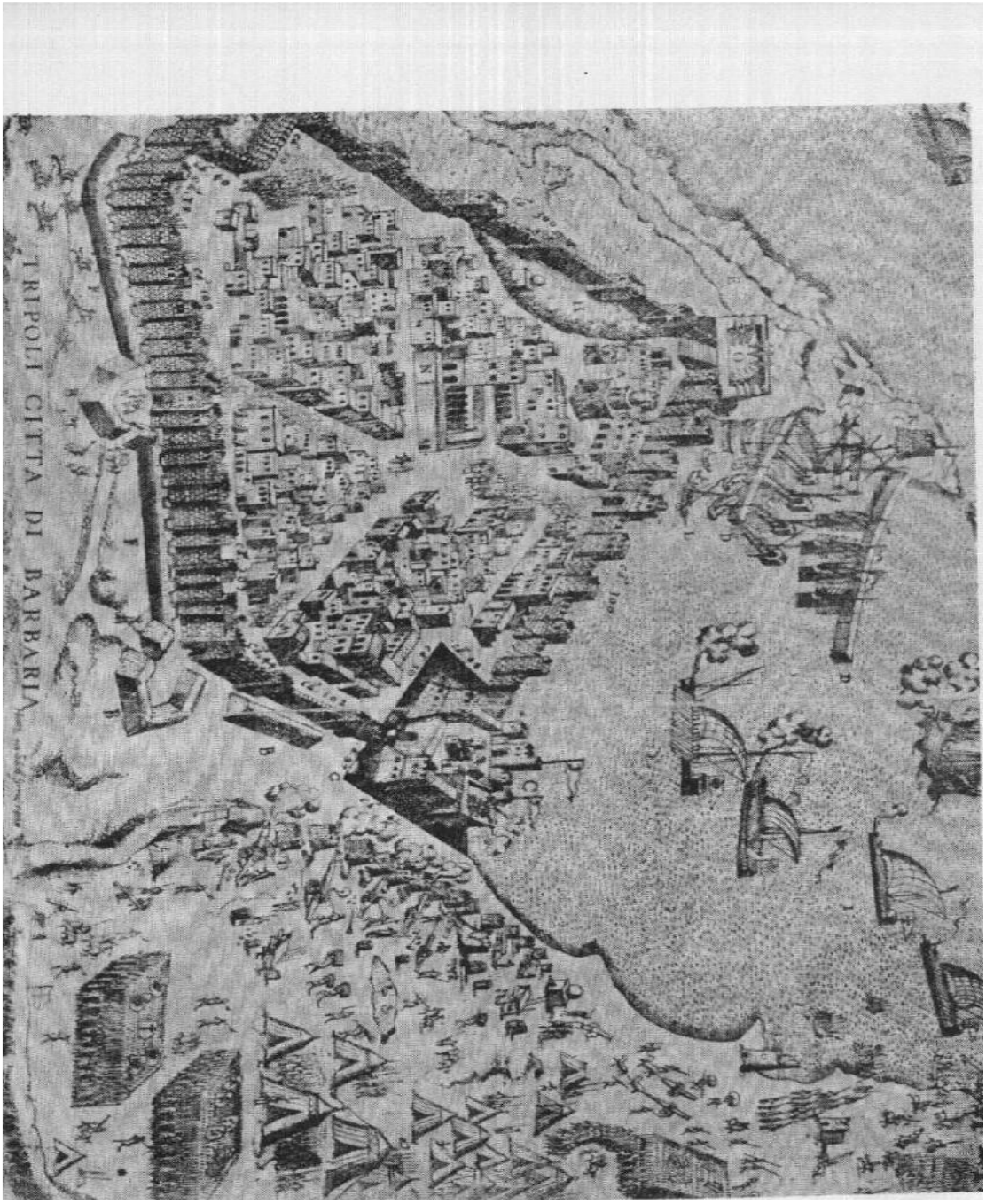

[1]- إتّوري روسّي: **طرابلس تحت حكم الإسبان**، ص 12.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع:

أولا:المصادر العربية والمعرّبة:

ابن الدين الحاج الأغواطي: **رحلة الأغواطي في شمال أغريقيا والسودان والدرعية**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية، طبعة خاصة، الجزائر، 2011م.

-بن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل: **تاريخ طرابلس المسمى التذكار فيما ملك طرابلس وماكان بها من أخبار**، تع وتص: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

-بن مسعود محمد: **كأنك معي في طرابلس وتونس**،ط1، مطبعة ماجي ، طرابلس الغرب 1953.

- التجاني أبو محمد بن أحمد: **رحلة التجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، د ط، ليبيا، تونس، 1981م.

-حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح وتر: محمد حرب سنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ط 1، د م، 1438هـ -2017م.

-حسن الفقيه حسن: **اليوميات الليبية**، تح: محمد الأسطى وعمار جحيدر، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2001م.

-الحشائشي محمد بن عثمان التونسي: **رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)** تق وتح: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط 1، 1965م.

-خوجة مصطفى: **تاريخ فزان**، تح: حبيب وداعة الحسناوي، د ط، م م ج ل د ت، 1979م.

-سعد زغلول وآخرون: **رحلة ماء الموائد للعياشي (ليبيا-طرابلس-برقة)**، المعارف، طبعة خاصة، الإسكندرية، د س.

-الطرابلسي أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، د ط، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا.

-العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح وتق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج 1، دار السويدي، ط1، 2006

-كاربخال مارمول: **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي واخرون، مكتبة المعارف، د ط، د م ط، 1984م، ج1، ج2، ج3.

-مجهول: **مذكرات خير الدين بربروس** تر: محمد دراج، شركة الأصالة، ط 1 1431هـ/ 2010م.

-المحامي محمد فريد بك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت،1401هـ-1981م.

-النائب الأنصاري أحمد بن الحسين: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**،تق وتع: محمد زينهم محمد عنب ، دار الفرجاني، د ط ،القاهرة.

-هنري بيتشي، فريديريك بيتشي: **الأخوان بيتشي والساحل الليبي (1821-1822)**، تر: الهادي مصطفى أبو لقمة، ط 1، دار الكتب الوطنية، بنغازي, 1996م.

-الوزان حسن: وصف **إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، ج1وج 2، ط2، لبنان، 1983م.

ثانيا: المـراجع العربية والمعرّبة:

- أبو عجيلة محمد الهادي عبد الله: **النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية، 1711م-1835م، وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية**، دار الكتاب الوطنية، ط1، بنغازي، 1997م.

-أبو مدينة حسين مسعود: **جغرافية ميناء طرابلس الغرب**، ط1، دار ومكتبة الشعب، ليبيا، 2005.

- أوغلي خليل الساحلي: **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين** بحوث ووثائق وقوانين، م أ ت و ف ث إ ب،د ط،استانبول،2000

-ألفونصو روسو البارون: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، نقله عن الفرنسية: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، د ط، بنغازي.

-إسماعيل عمر علي: **إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835**، مكتبة الفرجاني، ط1، بيروت، 1966.

-ألتر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: عبد السلام أدهم،د ن، ط1، د ب، 1969م. .

- إيفانوف نيقولاي: **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574م** نقله إلى العربية: يوسف عطا الله، تق: مسعود ظاهر، دار الفرابي، ط1، بيروت، 1988م.

-الباروني عمر محمد: الاسبان **وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي د ط، 1952م.

-بازامه محمد مصطفى: **ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان** منشورات مكتبة الفرجاني، د ط، ليبيا، 1965م.

-بازامه مصطفى: **ليبيا(هذا الاسم في جذوره التاريخية)**, مكتبة قورينا, ط 2, بيروت, 1975م.

-برجاوي سعيد أحمد: **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**، الأهلية للنشر والتوزيع, د ط, بيروت, 1993م.

-برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في عهد الحفصي من ق 13 الى نهاية ق 15م** نقله الى العربية محمد الساحلي دارالغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1988م، ج 1.

-برنيا كوستانزيو: **طرابلس من 1510 إلى 1850**، تع: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د ط، تونس، 2009م.

- بروشين نيكولاي إيليتش: **تاريخ ليبيا (من منتصف القرن 16حتى القرن 20)**، تر وتق: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2, لبنان, 2001.

-بعيوا مصطفى عبد الله: **دراسات في التاريخ اللوبي، مطابع عابدين**، الإسكندرية، د س.

-البلوشي علي مسعود: **تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551-1911م نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية** الجماهيرية العربية الليبية، د ط، طرابلس، 2009م.

-بن موسى تيسير: **المجتمع العربي الليبي العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية**، د ط، الدار العربية للكتاب، 1988.

-البهنسي صلاح أحمد: **طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني**، دار الآفاق العربية، ط1، مصر، 1424هـ/ 2004م.

-بيات فاضل: **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني _ أواسط القرن التاسع عشر**، م د وع، ط 1، بيروت، 2007م.

- التازي عبد الهادي: **أمير مغربي في طرابلس 1145هـ/1741م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي**، مكتبة الإسكندرية، دب.

-التليسي خليفة محمد: **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، دار الكتب الوطنية، ط3، د م ط، 1997م. 16-17-تود مابل لومس: **أسرار مدينة طرابلس** دار ف المحدودة، ط2، لندن، 1985م.

-جبران مفيدة محمد: **أسواق مدينة طرابلس القديمة (دراسة تاريخية اقتصادية)**، منشورات مكتب إدارة المدن التاريخية, 2010.

- الجمل شوقي عطا الله: المغرب **العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** المكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1977م.

-الجمل شوقي: **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر**، المكتب لتوزيع المطبوعات، د ط، القاهرة, 2007.

-جميل بيضون والناضور شحادة: **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل، ط 1، الأردن, 2010

-حبيب عبد الله: **رحلات الصحافي العجوز (شهران في لبنان وبلاد اليونان وايطاليا وطرابلس الغرب)**، مطبعة الأمانة، د م، 1938.

-خضري سمير عبد المنعم: **عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني**، مؤسسة الإخلاص, 2008.

- خليفة حاجي: **تاريخ ملوك آل عثمان (فذلكة التواريخ)**، تق: سيد محمد السيد، سوهاج، جامعة الوادي, 2003م.

-خياط عبد الله: **العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا 1795-1832م**، النشأة العامة، ط 1، طرابلس, 1394هـ-1985م.

-دي اغسطين هنريكو: **سكان ليبيا**، تر وتق: خليفة محمد التليسي، دار العربية للكتاب، ليبيا, 1995, ج1ج2.

-رشدي راسم: **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**، دار النيل، ط1، القاهرة، 1953م.

- رايت لويس وجوليا ماكليود: **الحملات الأمريكية على شمالي افريقيا في القرن 18م**، تع: محمد روحي البعلبلكي, مكتبة الفرجاني, د ط،طرابلس- ليبيا.

-روسي اتوري: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، تر** وتق: خليفة محمد التليسي، الجماهرية العربية الليبية، ط1، و2 طرابلس، 1969_ 1985م.

-روسّي إتّوري: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م**، تر وتق: خليفة محمد التليسي، دار العربية للكتاب، ط 1 ط2، الاسكندرية، 1974م، 1991م.

-ريتشارد توللي: **عشرة أعوام في طرابلس**، تر: عبد الجليل الطاهر، دار ليبيا، د ط، بنغازي،1967.

-الزاوي الطاهر أحمد: **تاريخ الفتح العربي في ليبا**، دار المدار الإسلامي، ط4، بيروت، 2004م.

-الزاوي الطاهر أحمد: **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، دار الفتح، ط1، بيروت، لبنان، 1390هـ/ 1970

- زريقي جمعة محمود: **تراجم ليبية**، دار المدار الاسلامي، ط 1، لبنان, **2005**.

-زليتنر جان كلود: **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500-1795إفرنجي**، تر: جاد الله عزوز الطلحي، دار الجماهيرية، ظ1، ليبيا، 2001م.

- زيادة نيقولا: **إفريقيات دراسات في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي**، رياض ريس، ط1، 1991.

-السيد محمود: **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة د ط، الإسكندرية، 2000م.

-شاكر محمود: **ليبية**، دار العلمية، ط1 د ب، 1972م.

-الشنّيطي محمود: **قضية ليبيا**، مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، 1951م.

-الشيخ رأفت غنيمي: **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، دار التنمية، ط1، د ب، 1972م.

-الصلابي علي محمد محمد: **الدولة العبيدية في ليبيا**، دار البيارق، ط 1، عمان، 1998م.

-ضيف شوقي: **عصر الإمارات (ليبيا-تونس-صقلية)**، دار المعارف, 1992. 42

-الطرابلسي عبد السلام بن عثمان: **الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات** نقله واعتنى به: روفائيل رايكس, مطبعة الولاية,د ط، طرابلس الغرب, 1921م.

- عباس إحسان: **تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع ق 9هـ**، دار ليبيا، ط 1، بنعازي، 1967م.

-عربي محمد الطاهر: **وثائق السرايا الحمراء بمدينة طرابلس**، الدار العربية للكتاب، د ط، طرابلس، 1977م.

- العسلي بسام: **خير الدين بربروس والجهاد في البحر**، 1470-1547م، دار النفائس، ط 1،د ب، 1400هـ_ 1980م.

-علي أحمد سالم: **السيطرة العثمانية على حوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، إسكندرية، 2011م.

-غاسبري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تع: علي الصادق حسين،د ط، د ب،1973.

-غرايب عبد الكريم محمود: **مقدمة تاريخ العرب الحديث(1500– 1918)**, مطبعة جامعة دمشق, 1960, ج 1.

-فيلالي كمال: **تاريخ المغرب الحديث (من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة 1453–1837)**، دار ألكسندر للطباعة، ط1، قسنطينة، 2016م.

-كمالي إساعيل: **سكان طرابلس العرب**، تع: حصن الهادي بن يونس، دار الوطنية للكتب، د ط، د م ط، 1997م.

-المبروك عيسى عفاف البشر: **الإصلاحات العثمانية في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني (المجالس البلدية نموذجا)، دار** المنظومة، د ط، 2018م.

-المصري محمد إبراهيم لطفي: **تاريخ حرب طرابلس**، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق بينها، ط1، د م ط،1946م.

-المظفري نبيل: **العلاقات الليبية التركية 1969–1989 (دراسة سياسية –اقتصادية)**، ط 1، دار عيداء، عمان، الأردن، 2009م-2010م.

-منفروني كاميللو: **إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية** , تر: عمر محمد الباروني, م م د ج ل ض غ إ,د ط، 1988م.

- منير السيد والتابعي محمد: **الثورة الليبية جذورها وحاضرها، مطبعة أكاديمية ناصر العسكرية العليا.**

-ناجي محمود: **تاريخ طرابلس الغرب**، تر: عبد السلام ومحمد الاسطى، د ط، مطبعة العريب، بيروت.

-نصار فتحي حسن: **ليبيا من الاحتلال الاسباني حتى الاستقلال 1510–1951**، دار الجندي، ط1، القدس، 1436هـ / 2015م.

- هامبستراية ج أو: **هامبستراية الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م)** تر وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني،دار الغرب الإسلامي،د س ط، تونس.

-الهدار خالد: **حديث السرايا**، مجلة تاريخ ليبيا، 2015م.

-وولف جون ب: **الجزائر وأروبا 1500–1830**تر وتع: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، د ط،الجزائر، 2009م.

-الوبيه كامل مسعود: **الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842 –1911**) م م ج ل د.

-ياغي إسماعيل أحمد: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط 1, مكتبة العبيكة, الرياض, 1997م.

. **ثالثا: المراجع بالأجنبية**

-DE grammont Henri-D: histoire dalger sous la domination turque 1515-1830 Ernest lerroux editeur paris 1887.

- Mercier Ernest: histoir septentrionale(berberie)ernest lerou edeteur pris t3.

رابعا: المذكرات والرسائل الجامعية.

-بن عامر حياة وزروقي سمية: **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال العهد العثماني (1519–1830)** مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017م، ص 10.

-بن معيزة محمد شرعي: **دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الإيالات المغاربية ودول جنوب غرب أوروبا (إسبانيا، فرنسا، الدويلات الإيطالية) خلال القرنين 10–11هـ/ 16–17م** مذكرة الماجستير، تخصص: التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012م.

-بيشي رحيمة: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية 898–982هـ/ 1494– 1574م**،مذكرة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة غرداية، 1432-1433هـ/ 2011-2012م.

-زبارة سامية: **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (1520-1827م)**، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، تيارت, 2013-2014م.

-الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية مع إسبانيا في القرن 10هـ/16م**، مذكرة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة غرداية، 1434-1432هـ/ 2010-2011م.

-صحراوي حنان وبن عامر سعاد: **شمال غرب إفريقيا وجنوب غرب أوروبا منطقة صراع في العصر الحديث 1500-1830م**، مذكرة ماستر تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017م.

-الطويل محمد سعيد سالم: **العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية 1210-1248هـ/.1795-1832م**، أطروحة دكتوراه تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.

-علو شريفة وزراولة العالية: **دور البرتغال والاسبان في الكشوفات الجغرافية وأثرها على الحركة الاستعمارية في الوطن العربي**، مذكرة الماستر في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016-2017.

-عماري سهام: **انعكاسات الثورة الفرنسية على أوروبا (1789-1815)**، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة, 2015-2016م.

-قاضي شريفة أمين: **الاحتلال الإيطالي والمقاومة الليبية (1911-1951)**، مذكرة ماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة, 2014-2015.

-موسودة مسعودة والعوبي نسيمة: **طرابلس الغرب في عهد الوالي يوسف باشا القرمانلي(1795- 1832م/ 1210 - 1247هـ)**, مذكرة ماستر, تخصص: تاريخ العالم المعاصر, جامعة محمد بوضياف المسيلة, 2016-2017.

-ناسي أسماء وبلال أمينة: **الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1800_ 1830م** ، مذكرة ماستر، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة، 2015-2016م.

-نحاس حليمة ومزاري فايزة: **ليبيا خلال العهد القرمانلي، 1711م -1835م**، مذكرة ماستر تخصص: حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2015-2016م.

-نيقرو مسعودة: **جوانب من حركة الإصلاح العثماني في طرابلس الغرب 1835-1911م، إداريا-قضائيا**، مذكرة ماستر تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018م.

خامسا: المقـــالات.

-بوحمشوش نعيمة: **البحرية الجزائرية وحصار مالطا 1565**، مجلة حولية المؤرخ، العدد 5، جوان 2005، دار الكرامة، جامعة الجزائر.

-بوطبة لخضر: سليمان **باشا الباروني وموقفه من الدولة العثمانية في آخر عهدها**، موقع جامعة محمد أمين دباغين، سطيف، الجزائر.

-الحضيري ناصر الهادي: **الهجمات الصليبية على المغرب الإسلامي واستدعائها لتأسيس ايالات المغرب العثمانية 1492-1574م**, المجلة الليبية العالمية, العدد السادس, مارس 2016, جامعة بنغازي, ص 12.

-حماد أحميدة سالم: **الروابط الإقتصادية المتبادلة بين السلطات القرمانلية والمجتمع الطرابلسي في أواخر العهد القرمانلي**, مجلة العلوم والدراسات الإنسانية, جامعة بنغازي, العدد 13, مايو 2016م.

- رابحة محمد خضير: **دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني(1555م)** , مجلة الأبحاث, العدد 2, 2007م، مج 6.

-رجب قدارة فاتح: **الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي**، المجلة الجامعة, العدد 16, المجلد 4, نوفمبر 2014.

-عامر محمود: **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة دراسات تاريخية, العددان 117- 118, كانون الثاني, 2016م.

-عبيد مصطفى: **طرابلس الغرب من الإحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510 – 1551م** مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 18، 2015م.

-كاظم إلهام محمود: **سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها 1521_1525**مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد19، 2016، جامعة الكوفة.

-المفتي محمد محمد: **حديث السرايا**، مجلة تاريخ ليبيا، د ع، ليبيا، ديسمبر، 2015م.

-هلايلي حنيفي: **القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية (1492-1614)** ,العدد6.

-يوسف حسين عمر: **الصراع الفرنسي البريطاني على مالطا 1798-1801م**، مجلة جامعة الأقصى، المجلد العشرين، العدد الثاني، يناير 2016.

سادسا: المعاجم والموسوعات.

أ- المعاجم:

-الحموي الرومي البغدادي ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، المجلّد الخامس، دار صادر، بيروت، 1977.

-الخطيب مصطفى عبد الكريم: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط 1, بيروت, 1996.

-الزاوي طاهر أحمد: **معجم البلدان الليبية، دار الاتحاد الغربي**، ط 1، ليبيا, 1968.

-سهيل صبان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مرا: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض, 2000م.

ب- الموسوعات:

- الجميعي عبد المنعم: **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، التاريخ الحديث، القاهرة، 2007.

- عجيل أمل: **قصة وتاريخ الحضارات العربية (ق19-20)**، موسوعة تاريخية جغرافية حظارية وأدبية، ليبيا-السودان-المغرب , 1998-1999م.

- نجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ج1، تق: أحمد بن سودة، دار الأمير، بيروت, 1995م.

سابعا: أعمال المؤتمرات.

- جمال هاشم أحمد الذويب: تثبيت الحكم العثماني في طرابلس الغرب، المؤتمر الدولي الأول حول الدراسات العربية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بروناي، جانفي 2011.

الملخـــص

الملخص:

تعرضت طرابلس الغرب للإحتلال الإسباني سنة 1510م، وذلك بعد قيام الإسبان بحملة إستطلاعية حول أوضاع المدينة، ثم قرر الملك الكاثوليكي إرسال حملة إلى طرابلس الغرب للإستيلاء عليها، فجهزوا حمله ضخمة وشارك في هذه التجهيزات مختلف الدول الأوروبية، فعمل الإسبان على جعل طرابلس الغرب منطقة نفوذ تابعة لأملاكها، فجرت المعركة بين الطرفين وارتكب فيها الإسبان أبشع الجرائم،من تعذيب وتقتيل، وكن في النهاية فشل الإسبان في احتلال طرابلس الغرب قرروا تسليم المدينة إلى فرسان مالطا سنة 1530م، الذين قاموا بالسيطرة على المدينة فقاموا بنهب والسلب والتدمير وكل أنواع التخريب، فحاولوا الفرسان الإستيلاء على طرابلس الغرب إلاّ أنّ شجاعة وقوة درغوث ريس جعلتهم يفشلون في ذلك، فقد استطاع درغوث باشا طرد الفرسان من طرابلس الغرب، ثم عينه بعد ذلك السلطان واليا على طرابلس الغرب فعمل على تحصين المدينة واهتم بالمدينة من كل الجوانب، والقضاء على الأعداء كما كان له الفضل في تحرير جربة من الإحتلال الإسباني سنة 1560م، حيث واجه درغوث باشا الأسطول الإسباني بكل مالديه من قوة، حتى أرغم العدو على التراجع والإستسلام، وبذلك طرابلس الغرب تحت سيادة درغوث باشا.ومن ثم أكمل درغوث نشاطه كقرصان.

ثمّ استدعاه السلطان العثماني للمشاركة في حصار مالطا سنة 1565م، حيث شارك فيه أيضا بيبالي باشا فقاوموا العدو بكل قوة ولكن سرعان ما انتهى هذا الحصار بفشل الدولة العثمانية في السيطرة على جزيرة مالطا وتوفي درغوث باشا على إثر هذا الحصار بشظية على رأسه.

Resume:

Tripoli was exposed to the west for Spanish occupation 1510 after the Spanish launched a can paign on the situation of the city and then the catholic king to send a campaign to Tripoli west to seize it equipped huge compaign and participated in the equipment of various European countries. and The Spanish faled in the occupation of tripoli west decided to hand over the city to the kinghts of Malta in 1530. Who took contrôl of the city and they looted pillaged distroyed and all kinds of vandalism. The cavalry tried to seize tripoli in the west but the courage and power of drgouth raes made them fail dergouth pacha was able to expel the cavalry from tripoli. To The west on the fortification of the city and took care of the city from all sides . and the elimenation of enemies as i twas credited with the liberation of djerba from the spanish occupation in 1560.wher he faced drogouth pacha spanish fleet. With all its strength. So forced the enemy to retread. And surrender thus tripoli west under the rule of drogoth pash completed-his activity as pirate.

-The Othman sultan summoned him to participate in the siege of Malta in 1565. When pabaly pasha also took part in it and fought the enemy with great force but This siege ended with the failure of the Othman Empire to control the island of Malta and derguth pasha died after the siege with shrapnel on head.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
جدول المختصرات	
مقدمة	8 -2
مدخل: لمحة عن الأوضاع العامة في طرابلس الغرب قبل الإحتلال الإسباني	10
1-القبائل والثّورات المحليّة	
أ-قبائل بنو سليم وبنو هلال	
ب-ثورة القراقوش والميورقي	11
2-السلطة الحفصيّة في طرابلس الغرب	12
3-الزعامات المحليّة	13
أ-حكومة االشيخ منصور	14
ب-حكومة الشيخ عبد الله 4-علاقة طرابلس الغرب بالدول الأوروبيّة	15
5-نهاية حكم الحفصّيين	18 -17
الفصل الأول: طرابلس الغرب تحت الاحتلال الإسباني وفرسان مالطا	20
المبحث الأول: الاحتلال الإسباني	
أوّلا: الأسباب الحقيقيّة وراء الاحتلال	
ثانيا: الأسباب الغير حقيقية	21

ثالثا:طرابلس تحت سيطرة الإسبان	22
أ-التجهيز لاحتلال طرابلس الغرب	23 -22
ب-الاستيلاء على المدينة	24
ج_ 1- الرأي العام الأوروبي	25
2_الرأي العام العربي	26 - 25
د-حملة الكونت "بيدرو دي نافاروا" على جربة	27-26
ثـــالثا: طرابلس في ظل الاحتلال الإسباني	27
رابـــعا: فشل الإسبان في طرابلس الغرب	29 - 28
المبحث الثاني: فرسان مالطا	31 -30
أوّلا: ظروف خضوع طرابلس الغرب لفرسان مالطا	
ثـــانيّا: التعريف بمنظمة فرسان القّديس يوحنّا	32
أ-تعريفها	
ب- تأسيسها	33
ج-زعماء هيئة فرسان مالطا	33
ثـــالثا: طرابلس تحت سيطرة فرسان القدّيس يوحنّا	36 -35 -34
أ- إنجازات فرسان القديس يوحنا	
ب- نظام حكم فرسان مالطا	37 -36
رابعا: استيلاء فرسان مالطا على طرابلس الغرب	39 -38-37
الفصل الثاني: ولاية درغوث باشا في طرابلس الغرب	41
المبحث الأول: دخول العثمانيين لطرابلس الغرب	
أوّلا: طرابلس الغرب ولاية عثمانية	45 -41
ثـــانيّا: سنان باشا ودوره في طرابلس الغرب	47- 45

ثـــالثا: النّفوذ العثماني في طرابلس الغرب	49 - 47
مراد آغا واليا على طرابلس الغرب	52-49
المبحث الثاني: شخصية درغوث	53
1-مولده ونشأته	54 –53
2-ولاية درغوث باشا على طرابلس الغرب	55 -54
3-وقوعه في الأسر	57 - 56
4-تولّيه الحكم	62 – 57
الفصـــل الثّالث: جهوده في تحرير سواحل طرابلس الغرب	63
المبحث الأوّل: إنجازاته في طرابلس الغرب	64
1- إصلاحات درغوث في طرابلس الغرب	67-64
2-تحصينات درغوث	69-68
3- إنجازاته البحرية	70-69
المبحث الثاني: معركة جربة	71
1- لمحة عن جغرافية جربة	
2- حملة جربة 1560م	
3- الصراع الأوروبي العثماني	74-73-72
4- نتائج المعركة	76-75
المبحث الثالث: حصار جزيرة مالطا واستشهاد درغوث	77
أولا: حصار مالطا	77
أ- الاستعداد للحصار	
ب- أسباب الحصار	78

ج- أحداث معركة مالطا	81-78
د- ردود فعل الحكام المالطيين	82
و- مراحل الحصار	83
أ- المرحلة الأولى	
ب- المرحلة الثانية	
هـ- نتائج حرب مالطا	84-83
ثانيا: استشهاد درغوث باشا 1565م	86-84
خاتمة	89-88
الملاحق	94-91
ثبت المصادر والمراجع	106-96
الملخص	109-108
فهرس الموضوعات	114-111